مجلة العلوم العربية والإنسانية
جامعة القصيم، المجلد (١٠)، العدد (٣)، ص ص ١٣٣٩-١٤٢١، (رجب ١٤٣٨هـ/ مارس ٢٠١٧)

بلاغة التشابه اللفظي في سورة آل عمران

منى بنت فهد أحمد النصر
كلية الآداب، قسم اللغة العربية، جامعة الدمام
dr.muna22@gmail.com

ملخص البحث. يُعنى هذا البحث بدراسة مظهر من مظاهر الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم، وهو التنوع الأسلوبي في الآيات المكررة، وما عُرف عند العلماء بـ (المتشابه اللفظي) والمقصود به الآيات المتشابهة التي تكررت في القرآن وألفاظها متفقة إلى حدٍ كبير، ولكن وقع في بعضها زيادة أو نقصان، أو تقديم أو تأخير أو إبدال حرف مكان حرف، أو غير ذلك مما يوجب اختلافًا بين الآيتين من خلال سورة (آل عمران) التي احتوت ثلاثين آية من متشابه النظم، وقد سعت هذه الدراسة جاهدة إلى توجيه ما تشابه من ألفاظها وآيها وتعليله بلاغيًا وفق ضوابط علماء هذا الفن في التوجيه والتعليل، وكشفت النقاب عن لطائفه الجليلة في هذه السورة، وبعض أسراره المعجزة، وكذلك ضوابط العلماء في توجيهه، وأهمية الرسوخ في علوم اللغة ومعاني النحو، وخصائص العربية، وأسباب النزول، والاستعمال القرآني للألفاظ والتراكيب، وأخيرا السياق لخوض عباب هذا البحر الزاخر من البلاغة القرآنية.

المقدمة

الحمد لله الذي أحكم آياته، وأبدع جمله واختياراته، والصلاة والسلام على أفصح الناطقين، وأبلغ المتكلمين سيد الأولين والآخرين، وعلى آله وصحبه أجمعين. وبعد:

يعد علم المتشابه اللفظي القرآني من الحقول الخصبة للدراسة البلاغية التي لا تزال بحاجة إلى جهود الباحثين الدارسين، وقد استعنت الله في ركوب عبابه، يدفعني لدراسته أمران:

١- ما يكتنف هذا الأسلوب من بلاغة وإعجاز ؛ فإن تكرير الآيات القرآنية بألفاظ متفقة، أو مختلفة ليس تكرارا خاليا عن الفوائد، إنما جاء بميزان بلاغي دقيق. يقول الإسكافي: « إذا أورد الحكيم- تقدست أسماؤه- آية على لفظة مخصوصة، ثم أعادها في موضع آخر من القرآن، وقد غيَّر لفظة عما كانت عليه في الأولى فلا بد من حكمة هناك تُطلب، إن أدركتموها فقد ظفرتم، وإن لم تدركوها فليس لأنه لا حكمة هناك، بل جهلتم »[١] لذلك اعتنيت بتوجيه التشابه والاختلاف في آيات هذه السورة، وتعليله بلاغيًا ؛ منطلقة من دور السياق في توجيه هذا التنويع، لتأكيد الحقيقة البلاغية الكبرى التي تقول: « البلاغة هي مطابقة الكلام لمقتضى الحال»[٢]

٢- الرغبة في التركيز بدراسة مسائل المتشابه في سورة محددة دون الاكتفاء بالتمثيل لأنواع المتشابه في القرآن على سبيل الانتقاء كما هو منهج كثير ممن درسه في العصر الحديث، فلم يدرس أحد – حسب علمي- مسائل المتشابه في سورة بعينها [٣]أما اختيار سورة (آل عمران)

---

(١) درة التنزيل وغرة التأويل: ١٠.

(٢) التلخيص في علوم البلاغة، للخطيب القزويني: ٣٣.

(٣) إلا محاولة د. محمد الصامل الذي درس عشرة مواضع من سورة البقرة، ولم يكمل ينظر: من بلاغة المتشابه اللفظي في القرآن الكريم، ص٧.

فلأنها إحدى الزهراوين التي تأتي يوم القيامة كغمامةٍ أو طيرٍ صواف تحاجُّ عن صاحبها(٤)، واحتوت أكثر من ثلاثين آية من متشابه النظم.

منهج الدراسة

هو **المنهج التحليلي** المعتمد على تراث علماء المتشابه، وكتب التفسير، **الاستقرائي** وفق علماء المتشابه الذين اعتنوا بتوجيهه بلاغيًا، وقد جاءت في: **مقدمة** تضمنت أهمية الموضوع وسبب اختياره، والمنهج في دراسته. **وتمهيد** شمل: تعريف المتشابه اللفظي، وأهم المصنفات فيه، وموضوع السورة وأهم مقاصدها، ثم انتظم في ثلاثين مبحثًا، اختص كل مبحث بمسائل التشابه في الآية الواحدة، معتمدة تناول الآيات حسب ورودها في السورة حفاظا على وحدة المعنى والسياق، وسهولة الوصول إلى مواطن التشابه في الآية، وكنت حريصة على التقسيم البلاغي في رسم خطة البحث لولا مشكلة تقطيع أجزاء الآية، وتكررها أكثر من مرة ؛ لتضمن الآية في كثير من الأحيان أكثر من صورة.

وطلبًا للاختصار، وعدم إثقال المتن بالتخريج وضعتُ الآيتين أو الآيات موضع التشابه والاختلاف تحت المبحث، مبتدئة بالآية من سورة آل عمران، ثم ما يشابهها من الآيات في السور الأخرى مع وضع خط تحت مواضع الاختلاف.

هذا ولا أدعي أن هذه الدراسة قد توصلت للحق الذي أراده الله Y، أو المعاني التي قصدها، ولكن حسبها أنها أرشدت إلى الطريقة العملية في دراسة بلاغة المتشابه اللفظي في القرآن وفق ضوابط العلماء، والأسس التي اعتمدوها، وقد بذلتُ الوسع في حصر المسائل، وجمعِ

---

(٤) قال ρ: « اقرؤوا القرآن، فإنه يأتي يوم القيامة شفيعًا لأصحابه. اقرؤوا الزهراوين: البقرة وآل عمران ، فإنهما تأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان، أو كأنهما غيايتان، أو كأنهما فرقان من طير صواف، تحاجان عن أصحابهما... » حديث صحيح: رواه مسلم في كتاب (صلاة المسافرين)، باب فضل قراءة القرآن وسورة البقرة.

التوجيهات من تراث علماء المتشابه، وبعد ذلك تتبع الأسرار في بطون كتب التفسير مع إنعام النظر، لكنني اضطررت للاختصار ليتناسب البحث ومساحة النشر، والله أسأل السداد، والمغفرة عن التقصير والزلل ؛ فهو المستعان وعليه التكلان .

التمهيد

معنى المتشابه لغة

اسم فاعل من تشابه، وهو ما تماثل من الأشياء وأشبه بعضه بعضًا، وعلى ما يلتبس من الأمور. وتشابه الشيئان واشتبها: أشبه كل واحد منهما صاحبه. والمشتبهات من الأمور المشكلات، وأمور مشتبهة ومشبهة: مشكلة يشبه بعضها بعضا(٥)

معنى المتشابه اللفظي اصطلاحًا

هو الذي يقابل المحكم الغامض المشكل الذي التبس فهم المراد منه، واحتمل أكثر من وجه من وجوه الرأي والنظر(٦) وليس هذا مجال دراستي، وإنما المتشابه **اللفظي** الذي عرفه العلماء بـ:« الآيات المتشابهات التي تكررت في القرآن وألفاظها متفقة، ولكن وقع في بعضها زيادة أو نقصان، أو تقديم أو تأخير أو إبدال حرف مكان حرف، أو غير ذلك مما يوجب اختلافًا بين الآيتين أو الآيات التي تكررت » (٧).

---

(٥) ينظر في مادة (شبه): لسان العرب، لابن منظور. الصحاح للجوهري ؛ أساس البلاغة للزمخشري ؛ المصباح المنير للفيومي ؛ القاموس المحيط، للفيروز آبادي .

(٦) ينظر: التوقيف على مهمات التعريف، المناوي: ص٦٣٣.

(٧) البرهان في توجيه متشابه القرآن، محمود بن حمزة الكرماني: ١٩-٢٠. وينظر: درة التنزيل وغرة التأويل في بيان الآيات المتشابهات في كتاب الله العزيز، محمد الإسكافي: ص ٣ ؛ ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل: ١/ ١٤٥ ؛ كشف المعاني في المتشابه المثاني، بدر الدين بن جماعة: ١٨ ؛ فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن، أبو يحي زكريا الأنصاري: ١٥؛ البرهان في علوم القرآن: ١/١١٢ ؛ الإتقان في علوم القرآن: ٣/ ٣٣٩

أهم المصنفات فيه

بدأت الدراسات حول المتشابه اللفظي بحصر مواضعه على يد أئمة القراءات لتيسير ضبطه لحفظة القرآن، مثل: **متشابه القرآن** للكسائي (ت:١٨٩هـ)، **ومتشابه القرآن العظيم** لابن المنادي(٣٣٦هـ) وأحيانا على شكل منظومات كـ(**هداية المرتاب**) للسخاوي (ت:٦٣٤هـ)، وهذه لا تفيد الدراسة سوى في تحديد المواضع، أما الكتب التي سعت لتوجيهه، وبيان أسراره البلاغية، فأهمها [٨]:

١- **درة التنزيل وغرة التأويل** في بيان الآيات المتشابهات في كتاب الله العزيز، للخطيب محمد بن عبدالله الإسكافي (ت:٤٢٠هـ) وعلى الرغم من عدم استقصاء الآيات المتشابهة في القرآن فإنه يعد رائد هذا الفن، وأول من ولج بابه، وفتّق أكمامه، ومهد طريقه.

٢- **البرهان في توجيه متشابه القرآن** لتاج القراء محمود بن حمزة الكرماني (ت:٥٠٥هـ) وقد أفاد كثيرًا من الدرة، واختصره دون أن يصرح مع الاعتراف بذلك في مقدمته.

٣- **ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظي من آي التنزيل**، لابن الزبير الغرناطي (ت: ٧٠٨هـ) وهو أشملها، وقد تحققت له مرتبة الاجتهاد فيه، واستوعب كل مواضع الإسكافي، واستدرك عليه مئة وواحدا وعشرين موضعًا [٩].

---

(٨) وقد درس د.صالح الشثري جهود هؤلاء العلماء في مقدمة كتابه: المتشابه اللفظي في القرآن الكريم وأسراره البلاغية – دراسة تحليلية لتراث علماء المتشابه اللفظي: ص ١٣-١٢٣. ودرس جهد المعاصرين د. محمد رجائي الجبالي، في رسالة العالمية (الدكتوراه) (المتشابه اللفظي في القرآن بين القدامى والمحدثين: الغرناطي والسامرائي دراسة مقارنة) ص: ١٠٣-٣٣٠.

(٩) ينظر: متشابه النظم القرآني بين الإسكافي والغرناطي، د. محمود مخلوف: ص ١٢٣.

٤- **كشف المعاني في المتشابه من المثاني**، لبدر الدين بن جماعة (ت:٧٣٣هـ) الذي رتَّب مسائله على صورة أسئلة،يجيب عنها مفيدا ممن سبق ومن اللغة والتدبر، وإنعام النظر.

٥- **بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز**، لمجد الدين الفيروز أبادي (ت:٨١٧هـ) والجزء الأول من مجلداته الستة اختصار لبرهان الكرماني مع عدم الاستقصاء.

٦- **فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن**، لأبي يحى زكريا الأنصاري (ت:٩٢٦هـ)، ويعد اختصارًا جيدًا لكتاب الكرماني أيضًا.

وكتب التفسير من بعد ذلك غنية بالتوجيهات البلاغية لهذه الظاهرة الأسلوبية في القرآن لاسيما الكشاف للزمخشري، والتفسير الكبير للفخر الرازي، والبحر المحيط لأبي حيان، ونظم الدرر للبقاعي، وكذلك كتب علوم القرآن كالبرهان للزركشي، والإتقان للسيوطي.

الدراسات السابقة (١٠)

بدأت الدراسات الحديثة تتجه للعناية بالمتشابه اللفظي بلاغيًا، لكنها في الغالب تقوم على الانتقاء، أو تختص بدراسة جهد أحد علماء المتشابه.

فمن الأول:

١- المتشابه اللفظي في القرآن وأسراره البلاغية ـ دراسة تحليلية لتراث علماء المتشابه اللفظي، د. صالح الشثري، ١٤٢٥هـ -٢٠٠٥م.

٢- مؤلفات د. فاضل السامرائي حول المتشابه، ومنها: **التعبير القرآني**، ١٤٢٨هـ -٢٠٠٧م ؛ **بلاغة الكلمة في التعبير القرآني**،١٤٣٤ هـ - ٢٠١٣م، **أسئلة بيانية**، ١٤٣٢هـ -٢٠١١م. وقد أفدتُ من نظراته البلاغية في توجيه المتشابه اللفظي ؛ لأن دراسته للتشابه والاختلاف في القرآن تُعدُ محطة مهمة في دراسة هذا العلم في العصر الحديث، وعلى الرغم

---

(١٠) اكتفيت هنا بإثبات اسم الدراسة وسنة النشر، وباقي البيانات في ثبت المصادر والمراجع اختصارًا.

من اختصاصها جميعا بالمتشابه اللفظي، فإنها لم تحمل اسم (المتشابه اللفظي) مع قيمة منهجه في هذا الباب الدقيق والوعر من أبواب البلاغة القرآنية، كما أن « فيها دراسات ممتعة تنبهتْ إلى حقائق ودقائق، ترتقي بصاحبها إلى مصاف المجتهدين في هذا العلم الشريف،وهو اجتهاد مجدد في مناح عديدة، ولكنه اجتهاد وتجديد على طريقة الأئمة الراشدين، وليس على مناهج المستغربين، وكتبه خير أنموذج يحتذي به بنو زماننا إن هم أرادوا تجديد علم متشابه النظم وغيره من علوم السلف وإثرائها »[١١]

٣- المتشابه اللفظي في القرآن الكريم –رؤية في التفسير من خلال اللغة والسياق، د. محمد القاضي، ١٤٣٠هـ -٢٠٠٨م

٤- التنويع الأسلوبي في صور التكرار، د. عبدالمنعم علي حسين، ١٤٢١هـ -٢٠٠٠م.

٥- المبنى والمعنى في الآيات المتشابهات في القرآن الكريم، د. عبدالمجيد ياسين، ١٤٢٦هـ.

٦- الجمل المتشابهة من خلال القرآن الكريم (دراسة بيانية) حليمة تواتي، ٢٠٠٤م.

ومن الثاني:

١- البلاغة القرآنية في الآيات المتشابهات من خلال كتاب ملاك التأويل لابن الزبير الغرناطي، د. إبراهيم الزيد، ١٤٣٠هـ.

٢- التوجيه البلاغي للمتشابه اللفظي عند الخطيب الإسكافي، عائض الحربي، وهي رسالة تخصص (ماجستير) لم أستطع الحصول عليها، لكن يكفينا أن ما تناوله الإسكافي من المتشابه اللفظي لهذه السورة عشرة آيات فقط.

٣-متشابه النظم القرآني بين الإسكافي والغرناطي، د.محمود مخلوف، ١٤٢٣هـ -٢٠٠٢م.

---

(١١) ينظر: مقدمة كتاب متشابه النظم القرآني بين الإسكافي والغرناطي، د. محمود مخلوف: ص (هـ).

٤-بلاغة المتشابه اللفظي في تفسير البحر المحيط، د. مريم القرشي، ١٤٣٢ -١٤٣٣هـ.

٥-توجيه المتشابه اللفظي في القرآن بين القدامى والمحدثين: **أحمد الغرناطي وفاضل السامرائي: دراسة مقارنة**، محمد رجائي الجبالي، رسالة عالمية، ٢٠١٢م.

٦-**ابن أبي الإصبع المصري** وجهوده في المتشابه القرآني، يوسف الأنصاري، جامعة أم القرى (ت: د).

٧-من بلاغة المتشابه اللفظي في القرآن الكريم د. علي الصامل، ١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م، الذي خصه بدراسة عشرة مواضع فقط من سورة البقرة دون استيعاب جميع مسائلها.

٨-**مؤلفات د.محمد فاضل السامرائي** حول (ملاك التأويل): دراسة المتشابه اللفظي من آي التنزيل في كتاب ملاك التأويل مع دراسة نقدية في تحقيقي الكتاب، البيان القرآني في الآي المتشابه – نماذج مختارة من كتاب ملاك التأويل، ١٤٣٧هـ -٢٠١٦م.

مقصود السورة:

مقصودها التوحيد والثبات على الإسلام بعد كماله، ورد شبهات النصارى في تأليه عيسى υ ويكفي تسميتها باسم هذه الأسرة (آل عمران) [١٢] للاستدلال على بشريته، وأنه ذو نسب أهل، وليس إلهاً كما يزعمون[١٣] وقد نزلت ثلاثٌ وثمانون آية لمحاججتهم، وإثبات عقيدة

---

(١٢) عمران بن ماتان أبو مريم، وآله هم زوجُه حنة وأختها زوجة النبي زكريا. ينظر: التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور: ٣ /٢٣١.

(١٣) ينظر: نظم الدرر: ٣/٣-٤ ؛ برنامج بينات مقدمات في سورة آل عمران – الحلقة الأولى ٨/١٢/ ١٤٣١هـ، موقع ملتقى أهل التفسير ؛ المختصر في التفسير: ص٥٠.

التوحيد وأن عيسى نبي مرسل، هذا هو الركن الأول الذي بنيت عليه السورة. أما الركن الثاني: فتشريع الجهاد وتفاصيل غزوة أحد التي أصيب فيها النبي υ، واستشهد حمزة τ، وقُتل من الصحابة كثير.(١٤) والسورة في مجملها تمثل قطاعا حيا من حياة المسلمين في المدينة من بعد غزوة بدر إلى ما بعد غزوة أحد، ودور القرآن في مواجهة الدسائس وإبطال الشُبه، وتثبيت القلوب.(١٥)

المبحث الأول

قوله تعالى: ﭽ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ... ﭼ ﭽ وقوله: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭼ وفيه من مسائل التشابه:

١- الاختلاف في بنية الكلمة بين (نزَّل و أنزل):

فقد خصَّ الكتاب بلفظ (نزَّل) أولا، ثم التوراة والإنجيل بلفظ (أنزل)، وتوجيهه عند العلماء مؤسس على فروق دلالية بين الصيغتين (فعَّل وأفعل)، فالأولى تقتضي التكرار ؛ لأجل التَّضعيف، تقول:(ضَرَبَ) مخففًا لمن وقع عليه ذلك مرَّة واحدة، أما إذا قلنا ضرَّب بالتشديد، فلا يقال إلا لمن كثر ذلك منه. فقوله (نزَّل) يدل على نزول القرآن منجمًا مرَّة بعد مرَّة وشيئا بعد شيء، أما لفظ (أنزل) فلا يعطي ذلك، وهذا مطابق لحال التوراة ؛ فإن موسى أُوتيها جملة واحدة في وقتٍ واحد ؛ فلذلك قال (أنزل)(١٦)... هذا المطَّرد في هذا الاستعمال حال اجتماع الفعلين في سياق واحد، ومنه عند ابن الزبير قوله تعالى:ﭽ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﭼ [النساء] أما إذا ذكر أحدهما منفردا لم

---

(١٤) ينظر: التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور: ٣/١٣١-٢٣٣.

(١٥) ينظر: في ظلال القرآن، سيد قطب: ١/ ٣٤٩-٣٤٠.

(١٦) ينظر: ملاك التأويل: ١/٢٨٦-٢٨٨؛ الكشاف: ١/ ٤١١. وينظر: المفردات في غريب القرآن: ص ٤٩٠-٤٩١ (نزل) ؛ التفسير الكبير، الرازي: ٧/١٥٧ ؛ الجامع لأحكام القرآن، القرطبي: ٤/٥ ؛ نظم الدرر: ٢/٧-٨ ؛ إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، أبو السعود العمادي:٢/ ٤.

يُنكر وروده بلفظ (نزَّل) أو (أنزل) ؛ لأنَّهما يكونان بمعنى واحد، وكأنَّه شعر بأنَّ ذلك غير مطَّرد في القرآن، فحاول تخريج ما تخلَّف عنه نحو قوله تعالى في آل عمران: چ ڤ ڤ ڃ ڃچ چ چ إذ يقول: « ولم يرد إنزال التَّوراة بالتَّضعيف إلا في قوله تعالى چ ڤ ڤ ڃ ڃچ چ وله وجه وهو أن المراد ثبوت أحكامها...»(١٧).

وهذا يدل على أن هذا التوجيه غير مطَّرد،كما أنَّه يعترضه إشكالات:

الأول - ورود الآية بقراءة التخفيف (أنزل).

والثاني - التَّعبير بالتَّنزيل مع التَّوراة في الآية السابقة.

والثالث - استخدام الفعل غير مضعَّف مع القرآن نحو قوله: چۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ چ [الكهف] وكذا آية النحل: چڎ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ڤ ڤ چ (١٨)، وهذا يجعلنا نراجع معاني هذين البنائين في العربية والاستعمال القرآني لهما ؛ لنتبيَّن وجه المناسبة في اختصاص كل موضع بما جاء فيه. يقول صاحب الشافية:« وفعَّل للتكثير غالبًا، نحو: غلَّقت، وقطَّعت..»(١٩) ويعلق الاستراباذي:« الأغلب في فعَّل أن يكون لتكثير فاعله أصل الفعل كما أنَّ الأكثر في (أفعل) النقل، تقول: ذبحت الشاة، ولا تقول ذبَّحتها، وتقول: أغلقتُ الباب مرَّة، ولا تقول: غلَّقتُه ؛ لعدم تصور معنى التكثير في مثله... ولذلك سمِّي الكتاب تنزيلا ؛ لأنَّه لم ينزل جملة واحدة، بل سورة سورة وآية آية »(٢٠) ويقول ابن قتيبة:« وتدخل فعَّلتُ

---

(١٧) ينظر: ملاك التأويل: ١/٢٨٨-٢٨٩ .

(١٨) تراجع الإشكالات في: التفسير الكبير، الرازي: ٧/ ١٥٧ ؛ والبحر المحيط، أبو حيان: ٣/٣٩٣ ؛ وإرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، محمد أبو السعود العمادي: ٢/ ٤ ؛ والتحرير والتنوير: ٣/ ١٤٨؛ وملاك التأويل: ١/١٨٧-٢٩٠.

(١٩) الشافية، لابن الحاجب: ص ١٧-١٨.

(٢٠) شرح شافية ابن الحاجب، لرضي الدين الاستراباذي: ١/٩٢.

على أفعلت، إذا أردتَ تكثير العمل والمبالغة، تقول: أجدتُ وجودتُ، وأغلقتُ وغلقتُ، وأقفلتُ وقفَّلتُ »(٢١)

إذن ليس التَّكرار والتَّنجيم كما قال المفسرون وعلماء المتشابه، وقد تتَّبَّع السَّامرائي صيغة (فعَّل) فوجد أن معانيها تتنوَّع عند العرب، وتخرج عن التَّكثير إلى معان أخرى كالتَّعدية نحو:(فرَّحته)، والنسبة إلى أصل الفعل نحو (فسَّقه وكفَّره) أي: نسبه إلى الفسق والتكفير، وأن الغالب التكثير والمبالغة، ومن مقتضيات التكثير في الحدث استغراق وقت أطول، وإفادة التَّلبُّث والمكث كـ (علَّمته الحساب) ولا تقول: (أعلمته الحساب).

وبملاحظة الاستعمال القرآني لهذه الصيغة نجد أنها تفيد التكثير والمبالغة غالبًا نحو قوله في سورة الإسراء: ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﭼ فقال (تفجر) بالتخفيف مع الينبوع الواحد، أما الأنهار فقال (تفجِّر) بالتضعيف لإرادة الكثرة لما كانت جمعًا، وتفيد الأبلغ والأدوم كما في (كرَّم) في قوله: ﭽ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕﭼ [الإسراء] وهذا تكريم على وجه العموم والدوام في حين قال ﭽ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﭼ [الفجر] والمقصود الإكرام بالمال. ومنه استعمالها فيما هو أهم لما فيه من المبالغة مثل (وصَّى) نحو قوله: ﭽ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﯗ ﭼ [البقرة] في حين قال ﭽ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﭼ [النساء]... وهكذا

وهذا يدلُّ على أنَّها تأتي للاهتمام والمبالغة كما تأتي للتَّدرج والتَّكثير أو التَّكرار، وبتأمل سياقات (نزَّل) نجد أن فيها قوَّة وشدَّة تتطلَّب التَّضعيف، وأنَّ القرآن حين يعدل عن (أنزل) إلى (نزَّل) فإنما يريد استعمالها فيما هو آكد وأقوى، ومن ذلك في سورة الأعراف:ﭽ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﭼ بينما قال في سورتي يوسف والنجم: ﭽ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﭼ ؛ لأن سياق آية الأعراف فيه حوارٌ وجدالٌ وتحدٍ من قوم هود لنبيِّهم هو أشدُّ وأقوى من الحوار في الموضعين الآخرين،

---

(٢١) أدب الكاتب: ص ٤٦٠. وينظر: المفردات في غريب القرآن: ٤٨٠ (نبأ) يقول نبأته أبلغ من (أنبأته) ؛ حاشية ابن المنير على الكشاف: ٤١١/١.

قال تعالى ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ... ﮋ وردَّ عليهم بقوة وتهديد: ﭽ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ...ﮊ ﭼ بل هو مشهد ينتهي بتدمير الكافرين: ﭽ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﭼ في حين كان الأمر حوارًا ودعوةً لصاحبيّ السجن وعرض عقيدة التوحيد عليهما في يوسف:ﭽ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﭼ وكذا كان الخطاب في آية النَّجم من الله تعالى مستنكرًا عبادة الأصنام ونسبة الملائكة إليه دون جدال أو تحدٍّ:ﭽ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﭼ وهكذا ناسب السياق الأشدُّ صيغة (نزَّل) دون السياقين الآخرين[٢٢] وهذا ما ألمح إليه ابن عاشور وأن صيغة (نزّل) مؤذنة بتقوية الفعل في كيفيته وكميته، وأن نزول القرآن أعظم شأنا من غيره[٢٣]، ولا شك أنَّ التوجيه المتكئ على فروق لغوية أولى من التوجيه بأنَّه للاحتراز من التكرار[٢٤] ؛ إذ لا يدل على بلاغة ولا يكشف عن إعجاز.

٢- التغاير أو الإبدال بين (الناس – المتقين) فقد وصف التوراة والإنجيل بـالهداية (للناس) وفي البقرة وصف القرآن بـالهداية للمتقين: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭼ ؟

والجواب: إن ذلك مرتبط بالسياق وبحال المقصودين ؛ فالكتاب في البقرة هو القرآن، وما في آل عمران كتاب موسىυ لبني إسرائيل وكتاب عيسى υ للنصارى، والمتقون هم أمة محمد فخُصت بالفضل المعلوم ؛ ليؤكد فضلهم على أهل الكتابين [٢٥] وفضل أمة القرآن يظهر في أمور، الأول: التعبير عن القرآن باسم الجنس (الكتاب) ؛ إيذانا بكمال تفوقه على

---

(٢٢) ينظر: من بلاغة الكلمة في التعبير القرآني، فاضل السامرائي: ص ٦٦-٦٩.

(٢٣) البحر المحيط: ٦٦٦/٢.

(٢٤) ينظر: كشف المعاني: ص ٧٥ ؛ فتح الرحمن: ص ٥٩. وللاستزادة في بلاغة القرآن في استعمال الفعلين: (نزَّل) و(أنزل) ينظر: ملاك التأويل: ١/ ٤٥٠ -٤٥٢.

(٢٥) ينظر: ملاك التأويل: ٢٨٨/١-٢٨٩ .

بقية الكتب في حيازة الكمالات، كأنه الحقيق بأن يطلق عليه اسم الكتاب، والثاني: وصفه بالمصدر (هدى)؛ للمبالغة في حصول الهداية به حتى كان هو عين الهدى(٢٦)

والثالث: وصفهم بالتقوى فإنه تشريف لهم ؛ لإتيانهم بالسبب الأكبر لحصول الهداية (٢٧) وأمر آخر يذكره ابن جماعة لاختصاص البقرة (بالمتقين) وهو ذكر صفات المؤمنين؛ فلا يناسبه الوصف بـ (الناس)(٢٨)وزاد البقاعي أن الهداية نوعان: هداية إرشاد وهداية توفيق، فالعامة (الإرشاد) وبيان الحق كما في التوراة والإنجيل هي المقصودة في آل عمران، والخاصة (خلْقُ الهداية في القلب) هي المقصودة في البقرة، ونصه: « (هدى) أي بياناً، ولذا عمَّ فقال: (للناس) وأما في أول البقرة فبمعنى خلق الهداية في القلب، فلذا خص المتقين »(٢٩)

المبحث الثاني

قوله تعالى: ﭽﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﭼوفيه:

التقديم والتأخير بين الأرض والسماء:

والغالب في القرآن تقديم السماء على الأرض ؛ سواء كانت مفردة، نحو: ﭽ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﭼ [يونس] أو مجموعة كما في سورة البقرة: ﭽ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﭼ والسر أن السماوات والأرض غالباً ما تذكر في سياق تعظيم الرب والدلالة على وحدانيته وربوبيته، والآيات في السماوات أعظم منها في الأرض ؛ لسعتها وعظمتها، وما فيها من الكواكب، واستغنائها عن عمدٍ تقلُّها، إلى غير ذلك من عجائبها التي هي للأرض كقطرة بالمقارنة بها ؛ ولهذا أمر سبحانه بأن يرجع الناظر فيها البصر

(٢٦) ينظر: التحرير والتنوير: ١/٢٢٦-٢٢٧.

(٢٧) معالم التنزيل، الحسين بن مسعود البغوي: ١/ ٦٠. وينظر: البحر المحيط: ١/١٦١.

(٢٨) ينظر: كشف المعاني: ص٢٩ .

(٢٩) ينظر: نظم الدرر، برهان الدين إبراهيم البقاعي: ٢/ ٩.

كرَّة بعد كرَّة، ويتأمل اتساقها وبراءتها من الخلل ؛ لأن الآية فيها أعظم ؛ لذلك تقدَّمت في كل القرآن (٣٠) ماعدا خمسة مواضع: أولها هذا الموضع من آل عمران، وهي في يونس چ ـد ـد ئا ئا ئه ئه ئو ئو ئۇ ئۇ ئۆ ئۆ ئۈ ئۈ ئې ئې ئى ئى ئى ى ى ى □ ئى چ وإبراهيم چ ں ں ڻ ڻ ڻ ڻ ۀ ہ ہ ہ ھ ھ ے ے ۓ ۓ چ وطه چ ى ى ڈ ڈ ڈ ڈ ژ ژ چ والعنكبوت چ ې ې ې ې ـد ـد ئا ئا ئه ئه ئو ئو ئۇ ئۇ ئۆ ئۆ ئۈ ئۈ ئې ئې چ وبتأمل سياقاتها تتضح قاعدة في تقديم الأرض على السماء في القرآن ؛ ذلك أنها جميعا جاءت في سياق شهادة الله وعلمه بشؤون أهل الأرض ودقائق أعمالهم. وسأكتفي بآية آل عمران ويونس حتى لا نبعد عن موضوع الدراسة، وهي في ذكر شهادته على الخلق، واطلاعه على أعمالهم ؛ فقد سبقها حديث عن هداية الكتب السماوية لهم:چ ې ې ې ې ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ چ وأعقبها تصوير خلق الإنسان في الأرحام، وهو مرتبط بشؤون الخلق أيضًا، فناسبه - والله أعلم - تقديم الأرض على السماء، وهو مرتبطٌ بمقصود السورة، وهذا ضابط أصيلٌ من ضوابط توجيه المتشابه لفت إليه البقاعي، وكيف أنَّ تقديم الأرض في سياق الإخبار عن علم الله لخفايا أمورهم ينصب في مقصودها (إبطال ألوهية عيسى υ) يقول البقاعي: « فكأن الكلام في قوة أن لو قيل: أيخفى عليه مرتكبات العباد وهو مصورهم في الأرحام، والمطلع عليهم »(٣١)

وكذا سياق آية يونس في تهديد البشر وتحذيرهم من إحاطة علم الله بهم، وبأعمالهم، لا يغيب عنه منها شيء، فاقتضى ذلك ذكر محلهم، وهي الأرض قبل ذكر السماء چ ـد ـد ئا ئا ئه ئه ئو ئو ئۇ ئۇ ئۆ ئۆ ئۈ ئۈ ئې ئې چ(٣٢)، يقول ابن جماعة: « لما تقدم قوله چ ـد ـد ئا ئا ئه ئه ئو ئو ئۇ چ ناسب ذلك تقديم الأرض ؛ لأن الشأن والتلاوة والعمل في

(٣٠) ينظر:بدائع الفوائد: ١/ ٧٤.

(٣١) السابق نفسه.

(٣٢) ينظر: درة التنزيل، الإسكافي: ص ٢١٥ ؛ بدائع الفوائد، ابن القيم: ١/ ٧٤.

الأرض»[٣٣] وهذا ما عناه الزمخشريُّ حين قال تعليقًا على تقديم الأرض هنا: « حقُّ السماء أن تقدَّم على الأرض، ولكنَّه لما ذكر شهادته على شؤون أهل الأرض وأحوالهم، وأعمالهم ووصل بذلك قوله: ﭽ ﭫ ﭬ ﭭ ﭼ لاءم ذلك أن قدَّم الأرض » [٣٤] ولو قيل: إن آية يونس تشابه آية سبأ ﭽ ﯾ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﭼ ومع ذلك قُدِمت السماوات هناك ؟ فالجواب: إنَّ «حسن النَّظم هنا اقتضى تقديمها مرتَّبة في الذِّكر مع المخاطبين الذين هم أهلها بخلاف الآية التي في سبأ ؛ فإنها منتظمة بقوله (عالم الغيب) » [٣٥]

المبحث الثالث

قوله تعالى:ﭽ ﯡ ﯢ ﯣ ﭼ

وفي آخر السورة ﭽ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﭼ وفيه:

الإضمار والإظهار بين (إن الله) (إنك)

وقد تعددت التوجيـــهات لهذا الاختلاف، فقيل إنَّ جملة (إنَّ الله) متَّصـــلة بما قبْلَها ﭽ ﯡ ﯢ ﯣ ﭼ اتصالًا معنويًا فقط، وهو انتفاء الريب وتأكيد المعنى، أمَّا آخرها فهو متَصِلٌ بما قبْلَه اتّصالاً لفظياً ومعنوياً، وهو قوله ﭽ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﭼ ؛ لتقدُّم لفظ الوعد ولبنائهما على الخطاب ؛ إذ هو في مقام الدعاء، وقيل: إنَّ الأول استئناف والآخر من تمام الكلام [٣٦]كما قيل إنَّ الأولى خبر منه تعالى بتحقيق البعث، والثانية في الدُّعاء فكان الخطاب أدعى إلى الإجابة [٣٧]،

---

(٣٣) كشف المعاني، ابن جماعة : ص ١٦٣. وينظر: البرهان، الكرماني: ص ٩٥ ؛ فتح الرحمن: ص ٦٠.

(٣٤) الكشاف: ٢/ ٢٣٤. وينظر: المثل السائر: ٢ / ٢٣٢.

(٣٥) نتائج الفكر، السهيلي: ٢٧٠.

(٣٦) ينظر: البرهان في توجيه متشابه القرآن: ص ٤٣-٤٤ ؛ بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ١/ ١٦١ ؛ فتح الرحمن: ص ٦١.

(٣٧) ينظر: كشف المعاني: ص ٦٧-٦٨.

وهذه فائدة لطيفة غير أنَّ تأمل السِّياق يهدي إلى أنَّ الأولى إخبارٌ من الله عن الراسخين في العلم، وإقبالهم على الله لتثبيتهم بعد هدايتهم، وأن يرحمهم ببيان ما أشكل عليهم من المتشابه: چ ۇ ۈ ۈ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ...ئا ئا ئە ئە ئو ئو ئۇ ئۇ ئۆ ئۆ ئۈ ئۈ ئې ئې ئى ئى ئى ئى ی ی ی ی چ فصارت (إنَّ الله) بإظهارُ الاسمِ الجليل مع الالتفات من الخطاب للغيبة إبرازًا لكمالِ التعظيم والإجلال الناشئ من ذكر اليوم المَهيب الهائل. يقول البقاعي: « علَّلوا نفي الرَّيب عادلين عن الخطاب آتين بالاسم الأعظم ؛ لأنَّ المقام للجلال »(٣٨)

بخلاف السياق في آخرها فإنَّه في مدح أولي القلوب الصافية التي أدامت الذِّكر والتَّفكُّر في أعظم مخلوقاته لتحقيق التَّوحيد، أعظم مقاصد السورة: چ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ گ گ ں ڻ ...چ فالسياق كما نرى مشهدٌ يمثل صفاء القلب وشفافيته، وصورة حية من استجابته لإيحاءات الحق في الكون بالليل والنهار، وتأملْ كيف دل التعبير بقوله چ ڳ ڳ گ گ چ وفعل التجدد چ گ چ على دوام الانشغال بالتذكر والتفكر، وغاية المراقبة، وكيف حصل التهييج إليه بالوصف بـــ(أولي الألباب) أي البصائر والقلوب المفتوحة للحق، فتنطلق ألسنتهم بالتسبيح بل مشاعرهم بذلك الدعاء الخاشع الممتلئ ثقة بإنجاز الوعد چ ئۇ ئۆ چ ويؤكده التعبير بحرف الاستعلاء (على رسلك) والتعبير بضمير المخاطب الدَّالُّ على هذا القرب مع لذَّة المناجاة(٣٩).

المبحث الرابع

---

(٣٨) ينظر: نظم الدرر: ٢/ ١٩٦-١٩٩.

(٣٩) ينظر: نظم الدرر: ٢/ ٢٧ ؛ في ظلال القرآن: ١/ ٥٤٦ -٥٤٨. وقد تناول علماء البلاغة (وضع الظاهر موضع المضمر) في باب خروج الكلام على خلاف الظاهر. ينظر: الإيضاح في علوم البلاغة: ٢/ ٨٠-٨٤.والعجيب أن ينص د. صالح الشثري على أن ماورد منه في القرآن خمسة مواضع، وفي آل عمران وحدها خمسة مواضع. ينظر: المتشابه اللفظي في القرآن الكريم وأسراره البلاغية: ص ٣٦٣.

قوله تعالى: چ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڤڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ چ

وفي الأنفال: چ ئا ئا ئە ئە ئو ئو ئۇ ئۇ ئۆ ئۆ ئۈ ئۈ ئې ئې ئى ئى ئى ئى ئە ئە چ چ ٹ ٹ ٹٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڤڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ چ وفيها أربعة مواضع من التشابه:

١- التغاير بين لفظتي (كذبوا) و(وكفروا) وذلك أن آية آل عمران تقدمها ذكر الكتب السماوية وما تضمنته من الهدى، فناسب وصفهم بالتكذيب ؛ لأنه سبب كفرهم، أما أولى الأنفال فتضمنت حال المسلمين مع كفار العرب وقتالهم وحربهم، فناسب التعبير بالكفر، ثم لما تلتها الآية الأخرى مباشرة من غير طول بينهما وصفهم بالتكذيب؛ ليحصل وصمهم بالكفر والتكذيب، هذا هو توجيه ابن الزبير [٤٠] ونظر السامرائي إلى ما بين الكفر والتكذيب من عموم وخصوص، وما بين العقوبات من فرق في كل آية ؛ ليصل إلى أن لفظ (الكفر) أنسب بآية الأنفال؛ لاختتامها بالعقوبة الأشد چ ئې ئى ئى ئد ىچ والكفر أعم من التكذيب؛ إذ هو من حالاته، وسياقها أشد في ذكر العقوبات چے ۓ ۓ ڭ ڭ ڭ ڭ ۇ ...ۋچ[٤١]

٢- الإضمار والإظهار بين (آياتنا) و(آيات الله) و(آيات ربهم): ولهذا الاختلاف توجيهان: الأول معنوي، وهو أنَّ آية آل عمران لم تسبقها أفعال منسوبة لغير الله، وإنَّما سبقها:چ ٱ ب ب ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ...ۀ چ لذلك « وقع الإخبار عن النفس كما يجب في مثله إذا أخبر المتكلم عن نفسه بفعلٍ فعله، فأتى بلفظ المضمر دون المظهر »[٤٢] وأمَّا اللفظيُّ فلأنَّ الآية السابقة لها بنيت هذا البناء، وهو البدء بضمير الخطاب (ربَّنا إنَّك) والختم بالظاهر (إنَّ الله) چى ى ې ې ى ى ئا ئا ئە ئە ئو ئو ئۇ ئۇ ئۆ ئۆ ئۈ ئۈ گ چ فضمير الخطاب في أولها يقتضي التعبير بـه في آخرها، لكنه أظهر؛ ليكون بناؤها على نمط سابقتها أولى،وهذه مناسبة

---

(٤٠) ينظر: ملاك التأويل: ١/ ٢٩١.

(٤١) ينظر:أسئلة بيانية: ٢/ ٢٦-٢٧.

(٤٢) درة التنزيل وغرة التأويل: ٣١.

لفظية، يقول الكرماني: «كان القياس (فأخذناهم) لكن لما عدل في الآية الأولى إلى قوله:چ □ □ □ □ □ □چ عدل في هذه الآية أيضًا ؛ لتكون الآيات على منهجٍ واحد ».(٤٣)

أمَّا إيثار الإضافة إلى لفظ الجلالة (الله) في أولى الأنفال چ ئۇ ئۇ چ فلأنَّه سبقها ذكر الملائكة وتوفيهم الذين كفروا: چ ے ۓ ۓ ڭ ڭ ڭ ڭ ۇ چ فجاء الاسم الظاهر لفائدة تضمنتها هذه اللفظة من الاحتجاج كما يقول الإسكافي(٤٤) كأنَّ المقصود أنَّ يُعلم أنَّ الأمر له Y، والكل بأمره وقدره. وقيل في الثانية (بآيات ربهم) ؛ ليتناسب مع ما تقدمه من قوله: چ ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ چ فذكرُ ابتدائه بالنعم يناسبه ذكر ربوبيته، فهو أوقع في النفوس وأشد في التحسر، فكأن المعنى: أنهم قابلوا نعم ربهم المالك المحسن بالكفر! ولو قيل (بآيات الله) لما أحرز معنى التحسر والندامة(٤٥) يقول ابن الزبير: « ولا خفاء بالفرق بين قول القائل لمن كفر بنعمة الله: إنما كفرت بنعمة المالك المحسن إليك ومبتديك بالنعم، وبين أن لو قيل له:إنما كفرت بنعمة الله، فتأمل »(٤٦)

٣- تأكيد جملة الفاصلة (إن الله قوي شديد العقاب)

والتوكيد بـ (إن) واسمية الجملة مع الوصف بالقوة، وذلك حتى يقابل بها قول الشيطان المضمحل قبلها چ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڄ ڄ ڄ ڄ چ ولتحقيق التقابل أسند القوة إلى الله كما في چ ک ک ک گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ڳ چ ولم يرد مثل هذا في آل عمران، إنما وقع الاكتفاء بقوله (والله شديد العقاب) (٤٧) ونكتة أخرى هي أنّ سياق الأنفال في ذكر نصر المسلمين في بدر على قلتهم چ ٻ ٻ ٻ ٻ پ... چ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ...چ والنصر يقتضي لفظ القوة، أما آية آل عمران فسبقها ابتهال: چ ئا ئه ئه ئو

(٤٣) البرهان في توجيه متشابه القرآن: ص ٤٤. وينظر: بصائر ذوي التمييز: ١/ ١٦١ ؛ فتح الرحمن: ص ٦١.

(٤٤) ينظر: درة التنزيل وغرة التأويل: ٣١.

(٤٥) ينظر: ملاك التأويل: ١/ ٢٩١-٢٩٢.

(٤٦) ملاك التأويل: ١/ ٢٩٢.

(٤٧) ينظر: ملاك التأويل: ١/ ٢٩١-٢٩٢.

ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ وكذلك ذكر الكفر قبلها، فلما زاد الكفر على التكذيب في السياق، وذكر القوة والعقوبات الشديدة في آيات الأنفال ناسبها التأكيد.(٤٨)

المبحث الخامس

قوله تعالى: ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ وفي البقرة: ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ **وفيه:**

الجمع والإفراد بين (معدودات)و(معدودة) فما سره والموصوف في الموضعين واحد هو (أيام) ؟ يقول أبو حيّان: « هما طريقان فصيحان ، تقول: جبال شامخة، وجبال شامخات ؛ فتجعل صفة جمع التكسير للمذكر الذي لا يعقل ؛ تارة لصفة الواحدة المؤنثة، وتارة لصفة المؤنثات... وذلك مقيس مضطرد »(٤٩) والأصل في هذا الجمع عند الإسكافي الذي واحده مذكرًا أن يقتصر في وصفه على التَّأنيث كقوله تعالى في الغاشية:ﭽ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ويجوز (سرر مرفوعات) لكنه ليس الأصل. وأن (معدودة) مستمرة في بابها، والجمع بالألف والتاء ليس بمستمر، وإنما هو على ضرب من التشبيه بما أصله الألف والتاء(٥٠) « وأما المعنى في القلة فسواء في قوله (معدودة) و(معدودات) » (٥١)

وهذا عجيب فمن المقرر في اللغة أن الجمع المذكر الموصوف بالمفرد المؤنث من غير العاقل أكثر من الموصوف بالجمع السالم، فقولك

---

(٤٨) أسئلة بيانية، د. فاضل السامرائي: ٢/ ٢٦-٢٧.

(٤٩) البحر المحيط:٦٦٦.

(٥٠) ينظر: درة التنزيل: ص ١٢ ؛ البرهان في توجيه متشابه القرآن: ص٣٢ ؛ فتح الرحمن: ص٣١ – ٣٢.

(٥١) درة التنزيل: ص١٢.

دراهم معدودة يعني أن الدراهم أكثر من (دراهم معدودات)، وكذا: (جبال شاهقة) أكثر من (جبال شاهقات) (٥٢).

وللعلماء في توجيه هذا الاختلاف وجهات متنوعة ؛ منها التوجيه النحوي، وهو أن البقرة اختصت بالأصل معدودة، وآل عمران بالفرع.. دون تعليل لهذا الاختصاص (٥٣).

أما ابن الزبير فيرى أنها لمناسبة الإيجاز والإطناب ؛ فآية البقرة بنيت على الإيجاز، فناسبها (معدودة) حيث بدئت بقوله (وقالوا)، أما آية آل عمران فبُنيت على الإطناب فناسبها (معدودات) فقد جاء في أولها (ذلك بأنهم قالوا) وهذه زيادة عن الآية الأولى، كما ختمت بذكر اغترار أهل الكتاب وافتراؤهم على الله چ ڤ ڤ ڃ ڃ چ چ أنهم إنما يعذبون في النار سبعة أيام (أيام معدودات) وهذا بسط لحالهم الحامل على سوء مرتكبهم ولم يذكر في البقرة سببا (٥٤)، ووجَّه ابن جماعة على اعتبار أنَّ القائلين فرقتان ؛ فرقة قالوا نعذَّب بالنَّار سبعة أيام ناسبهم القلَّة، وفي البقرة فرقة قالت: نعذَّب أربعين يومًا، هي أيام عبادتهم للعجل وهؤلاء ناسبهم الكثرة (معدودة) (٥٥)

وبهذا يلفتنا إلى أنَّهما قولان في مقامين مختلفين ؛ فأهل الذنوب الكثيرة الذين عدَّد صفاتهم السيئة من تحريف كلام الله عن إصرار وقصد چ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ...چ قد توعدهم الله بالعذاب الشديد، فقال چ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ...چ چ إذن هم يعملون الجرم عن قصد

---

(٥٢) ينظر: التعبير القرآني، فاضل السامرائي: ص٤١. والعجيب ان ابن عاشور ينص على أن معدودات أكثر من معدودة لأن هذا الوصف إذا كان مفردًا مؤنثا فإنه على تأويل (جماعة) والجماعة مفردة، فإذا أرادوا الكثرة أجروا وصفه على صيغة جمع المؤنث ليكون في معنى الجماعات. ينظر: التحرير والتنوير: ٢/١٦١. والتنويع الأسلوبي، عبدالمنعم حسين: ص٧٨.

(٥٣) ينظر: درة التنزيل: ص١٢ ؛ التفسير الكبير، الرازي: ٣/ ١٤٢.

(٥٤) ينظر: ملاك التأويل: ١/٢٢٦-٢٢٧ .

(٥٥) ينظر: كشف المعاني: ص ١٠٠. وقد تفاوتت الروايات بالفعل في تحديد هذا العدد المزعوم بين أربعين يومًا وسبعة أيام. ينظر: جامع البيان، الطبري: ١/ ٥٨٣-٥٤٠.

ويحرفونه عن علم ويعلمون أنَّ الله معاقبهم فقالوا چ ڈ ڤ ڤ ڤ ڤ ڤ ڤ ڤ چ بصيغة الكثرة، أمَّا آية آل عمران فالجرم فيها أقلّ چ ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ چ ولهذا آثر جمع القلّة « ففرق كبير بين المقامين، فجاء بزمن العذاب الطويل للجرم الكبير، والقليل للذنب القليل »(٥٦) « فهذا ليس مغايرة، ولكن وضعهما وضعًا بلاغيًا فنيًا، فذكَرَ العقوبة الشديدة مع الجرم الكبير وذكر العقوبة الخفيفة مع ما هو أخف جرمًا »(٥٧) ولـ د. محمد الأمين الخضري توجيه أراه ألطف وأعمق مما سبق من توجيهات، نظر فيه إلى سياق آية آل عمران وأنَّها في حجاج أهل الكتاب ومجادلتهم النبيَّ بالباطل چ ڳ ڳ ڳ ڳ ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ چ ثم تعجَّب من إعراضهم عن الحقِّ وعن الاحتكام لله چ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ چ في هذا السياق يندفعون إلى أقصى حدٍّ في المبالغة في تهوين العذاب وتقليل الجمع (معدودات) ؛ ليزداد التعجُّب والتشنيع لموقفهم، أما آية البقرة ففي إخبارٌ الله عن جناياتهم وتعداد جرائمهم ومنها: استخفافهم بعذاب الله، ساقه الله تيئيسا للطامعين في إيمانهم چ ۇ چ فجاء تهوينهم للعذاب أقلَّ مبالغة، فناسبه (معدودة) (٥٨)

المبحث السادس

قوله تعالى: چ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ڭ ڭ ڭ چ وفي يونس چې ې ى ى ئا ئا ئە ئە چ چ وفي الروم چ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ چ والأنعام چ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٿ ٿ چ **وفيه: التغيير في بنية الكلمة بين (يخرج) و(مخرج):** فأما مجيئه بصيغة المضارع في آل عمران ومثيلاتها فلتحقيق التناسق مع الأفعال المضارعة قبلها: تؤتي، تشاء، تعز، تذل، تولج، تخرج، ترزق. وكذا آية يونس فقد سبقته الأفعال بصيغة المضارع: يرزقكم، يملك،

---

(٥٦) ينظر: التعبير القرآني: ص٤١-٤٢.

(٥٧) على طريق التفسير البياني، د. فاضل السامرائي: ص١٧- ١٨.

(٥٨) ينظر: الإعجاز البياني – دراسة تحليلية للإفراد والجمع في القرآن: ص ٢٠.

يخرج، يدبر، ثم عُقب بـــ: فسيقولون، تتقون، وآية الروم سبق فعلها بـــ:تخرجون، تنتشرون (٥٩)

والعجيب أن علماء المتشابه وعلى رأسهم الإسكافي يقفون عند حدِّ هذه المناسبة

اللفظية دون الالتفات إلى الفرق بين التعبير بالفعل والاسم ودوره في اختصاص آل عمران ومثيلاتها بالفعل، بل الأعجب النص على أن دلالتيهما واحدة، فيقول تعليقًا على اختصاص الأنعام بالاسم:« نُقل عن لفظ الاسم إلى لفظ الفعل لما كان يخرج ومخرج بمعنى واحد »(٦٠) وهذا قولٌ عجيب لا يقبله ذوق بلاغي فضلا عن قامة كالإسكافي ؛ فمن خصائص العربية أن المضارع أدل على التصوير واستحضار الصورة في ذهن السامع وتجددها (٦١) وسياق المواضع الثلاثة يناسبه الفعل المضارع ؛ « إرادة لتصوير إخراج الحيِّ من الميت، واستحضاره في ذهن السامع »(٦٢) فأما آية آل عمران فالسِّياق في تغيُّر الأحوال واختلافها ؛ فما بين لحظة وأخرى يغيِّر الله من حالٍ إلى حال: چ ژ ژ ڑ ک ک ک ک گ... ٹچ وهذا معنى يناسبه بناءٌ يدلُّ على تجدُّد النِّعم وتصويرها ؛ لتعميقها في النفوس، ومثلها آية يونس فالخطاب للنبي ρ في صورة الاستفهام التعجبيِّ التقريريِّ بأن يبين للنَّاس أنَّ الله هو الذي يملك مواهب الرَّزق والمنح الإلهية الدائمة المتجدِّدة، ومطلعها چۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې وعقِّبت بـــ: چ ئۇ ئۇ ئو ئو ئۆ ئۆ □ □□ □ چ وآية الروم جاءت لربط التَّسبيح بالأوقات، وآفاق السماوات، وربط القلب البشريِّ بالله في كل أوان

---

(٥٩) البرهان في توجيه متشابه القرآن: ص ٦٥. وينظر: كشف المعاني: ص ١١٧-١١٨ ؛ فتح الرحمن: ص٣٠.

(٦٠) درة التنزيل: ص ٣٩.

(٦١) ينظر: دلائل الإعجاز، الجرجاني: ص ١٧٤ ؛ والإيضاح في علوم البلاغة، الخطيب القزويني:١١٣/٢.

(٦٢) حاشية ابن المنير على الكشاف: ٢/ ٣٧.

چ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ وأتبعت بآياته الدَّالة على كمال ربوبيته چ چ چ چ چ ڈ ڈ ڈ ڈ ڈ چ ليتقصَّى بهما الزمان والمكان، وبتلك العملية الدائبة التي لا تتوقف لحظة من ليل أو نهار (كذلك تخرجون) (٦٣)

أما في سورة الأنعام فجاء إخراج الميّت من الحيّ بصيغة الاسم ؛ لمناسبة صرفيَّة وأخرى صوتيَّة، فأما الصرفية فلأن الآية قبلها وبعدها بُنيت على اسم الفاعل ؛ فجيء فيها باسم الفاعل ؛ ليتناسب مع (فالق الإصباح) قبلُ وبعدُ.. هذا هو توجيه الإسكافي وعليه جلُّ علماء المتشابه (٦٤) يقول الزمخشريّ:« فإن قلت: كيف قال (مخرج الميّت من الحيّ) بلفظ اسم الفاعل بعد قوله (يخرج الحيَّ من الميّت) ؟ قلت: عطفه على فالق الحبِّ والنَّوى لا على الفعل، و(يخرج الحيَّ من الميّت) موقعه موقع الجملة المبينة لقوله (فالق الحبِّ والنَّوى) ؛ لأن فلق الحبِّ والنَّوى بالنبات والشجر الناميين من جنس إخراج الحيِّ من الميّت » (٦٥)

وسمَّاه ابن أبي الإصبع (حسن الجوار)، ونصه: « إنما جاء كذلك توخيا لحسن الجوار في النظم ؛ لتتعادل ألفاظ النظم عند التركيب، ولو أتى في الأنعام كما جاء أمثاله في آل عمران ويونس والروم لخرج نظمها عن الاعتدال كما أنه لو جاء مكان (ويخرج الميت من الحي) في آل عمران (ومخرج الميت) لتنافرت الألفاظ، وعيب نظم الكلام لسوء الجوار »(٦٦)

وأمر آخر يراه لازمًا لصيغة اسم الفاعل، وهي دلالته على المضي، والآية سيقت للتمدح بصفاته Y وقدرته وتفضله على خلقه، وبالقدرة المطلقة له سبحانه، فكان التمدح بها بصيغة اسم الفاعل أبلغ لما

---

(٦٣) ينظر: المتشابه اللفظي في القرآن الكريم – رؤية في التفسير من خلال السياق، د. محمد القاضي، ص ١٢٨-١٣٠ ؛ في ظلال القرآن: ٥ / ٢٧٦٢-٢٧٦٣.

(٦٤) ينظر: درة التنزيل: ص ٦٧ ؛ ملاك التأويل: ١/ ٢٩٥ ؛ البرهان في توجيه متشابه القرآن: ص ٦٥ ؛ فتح الرحمن: ص ٣٠ ؛كشف المعاني: ص ١١٨.

(٦٥) الكشاف: ٢/ ٣٧.

(٦٦) بديع القرآن ٢٦٥. (بتصرف) وينظر: تحرير التحبير، ابن أبي الإصبع: ص ٥٦١.

يدل عليه من قدم القدرة، وتمدحه بمجرد فلق الحب والنوى في بطن الأرض غير تام، لعدم الانتفاع به حتى يخرج نباته إلى ظهر الأرض ومقتضى البلاغة الإتيان بالمضارع الدال على الحال والاستقبال بعد اسم الفاعل الدال على المضي(٦٧).

وانفرد الإسكافي بتوجيه معتمد على مناسبة صوتية للعدول إلى المضارع في الأنعام، وفيه دلالة على ما تمتَّع به من إدراكٍ لأثر التلاؤم الصوتيّ، والتَّنغيم في البيان المعجز، وأنَّه عنصر مهم في بلاغته، وأنَّه للثُّقل الحاصل من اجتماع حروف العلَّة في حال كان اسمًا، وهي الواو والياء المقصورة من النَّوى، والواو من ومخرج(٦٨) وهو توجيه لطيف ؛ فإن اجتماعها يحدث ثقلا (٦٩)، تأمل العبارة لو كانت (فالق الحبِّ والنَّوى ومخرج) ؛ فتدرك الفرق. أما الرَّازي فعلَّل مجيء المضارع بين الأسماء بأنه لإفادة شرف الحيّ على الميّت (٧٠)، ورأى ابن عاشور أنَّه بالصِّيغتين تحصل الدِّلالة على الدَّوام والثبات مع التَّجدُّد والحدوث (٧١).

(٦٧) ينظر: بديع القرآن ٢٦٥ – ٢٧٠ ؛ وتحرير التحبير، ابن أبي الإصبع: ص ٥٦١-٥٦٢.

(٦٨) ينظر: درة التنزيل: ص ٦٧ – ٦٨.

(٦٩) وهو ما سماه العلماء القشرة السطحية، والجمال التوقيعي للقرآن. ينظر النبأ العظيم، محمد عبدالله دراز: ص١٠٠ ؛ إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، الرافعي: ص ٢١٤.

(٧٠) التفسير الكبير: ١٣/ ٩٣.

(٧١) التحرير والتنوير : ٧/ ٣٨٩.

المبحث السابع

قوله تعالى: ﭽ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﭼ
وفيه: اختلاف الفاصلة بين (وإلى الله المصير) (والله رؤوف بالعباد):

وسره أن الأولى تقدَّمها النَّهي من اتخاذ الكافرين أولياء من دون المؤمنين والتبرؤ منهم، فناسبها التحذير بالرجوع الآخروي إليه Y (والى الله المصير) أمَّا الثانية فسبقها إعلامه سبحانه أنه لا يخفى عليه شيء مما أكنوه أو أظهروه: (قل إن تخفوا) وعلمه المحيط بالأشياء مع القدرة، وهما القاطعان بمنكري البعث، وبهما يضمحل باطلهم، لذلك عرَّف بأنَّه لا يغادر من أفعالهم صغيرة ولا كبيرة، فقال: (يوم تجد كل نفس) ثم قال محذرا (ويحذركم الله نفسه)،كأنَّه لما ذكَّر ووعظ، وبيَّن وحذَّر واستجرَّ خوف المؤمنين ناسبه ذكر رأفته بهم رفقا وتلطفا: (والله رؤوف بالعباد).(٧٢)

المبحث الثامن

قوله تعالى على لسان زكرياυ: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭼ وقالت مريم ﭽ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﭼ وفيها من المسائل:

---

(٧٢) ينظر:ملاك التأويل: ١/ ٢٩٧.

١- التغاير بين لفظتي (غلام) و (ولد):

فقد ورد تعجب زكريا υ ومريم في القرآن بلفظ(علام) ماعدا هذا الموضع من سورة آل عمران، فقد تعجبت مريم لما بشرت بعيسى υ بلفظ(الولد): چ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ چ فلمَ اختُص هذا الموضع بلفظ(ولد) دون بقية المواضع ؟

لقد اقتصر تعليل علماء المتشابه لهذا الاختلاف على أن مريم تعجبت من مطلق الولد لذلك عبَّر عنه بالولد في آل عمران[٧٣] أما في سورة مريم فعبَّر بـ (غلام) ؛ لتقدم ذكر الغلام قبلها چ ڳ ڳ ڳ ڳ چ دون توضيح سبب اختصاص زكريا بالغلام ومريم بالولد.

وسرُّه أن تعجبها في آل عمران سبقه بشارة الملائكة بعيسى υ: چ ئۇ ئۇ ئۆ ئۆ ئۈ ئۈ .... چ والكلمة أعم من الغلام، وتصح لكل ما أراد الله أن يكون، والولد أعم من الغلام ؛ فهو لفظ صالح للذكر والأنثى، والمفرد والجمع لذلك ناسبت البشارة بالكلمة التعبير بالولد في هذا الموضع « فناسب العموم العموم والخصوص الخصوص »[٧٤]، يضاف إلى ذلك أن زكريا بُشِّر بيحيى وهو غلام.

ثم إن النظر إلى الفروق اللغوية بين لفظتي غلام وولد وما تحمله الأولى من معاني الفتوة والقوة، وكمال النشاط والذكورة، ومقاربة البلوغ يجعلنا ندرك لماذا كانت لفظة (غلام) أنسب لسياقها من الولد في كل موضع وردت فيه[٧٥] ولا سيما أنها سياقات البشرى؛ كبشارة إبراهيم بإسحاق وإسماعيل وزكريا بيحي؛ فقد بشروا بإنجاب الولد الذَّكر بعد أن بلغوا سنًّا لا يرجى فيها الولد، وكان كبر السن والشيخوخة التي بلغاها يُوهِم كونه ضعيفا غير كامل النشاط، لذا آثر النظم لفظ الغلام ؛ لتكون

---

(٧٣) ينظر: البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة و البيان: ص ٤٦ ؛ كشف المعاني: ص ٨٠ ؛ بصائر ذوي التمييز: ١/ ١٦١ ؛ فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن: ص ٦٦.

(٧٤) أسئلة بيانية في القرآن الكريم، د. فاضل السامرائي: ١/٣٥.

(٧٥) غلام في اللغة مشتق من الغلمة، وهو شدة طلب النكاح، يقال: غلم الرجل واغتلم أذا هاج من شهوة النكاح، وذلك إنما يكون فيمن بلغ الحلم. ينظر في مادة (غلم): المفردات في غريب القرآن، ص ٣٦٤.

البشارة على أتمها، وأنه ذكرٌ في غاية القوة ووفور النشاط[٧٦] يقول البقاعي: « وعبَّر بما تدور مادته على الغلبة والقوة زيادة في الكشف، فقال (غلام)، وفي تعبيره في سياق الحَصُور[٧٧] دليل على أنه في غاية ما يكون من صحة الجسم وقوته»[٧٨] ولو قال: (ولد) الدال على مطلق الولد سواء كان صبيا أو صبية، ضعيفًا أو قويًا مع صغر السن لما أدى هذا المقصود.[٧٩]

٢- التغاير بين لفظتي (يفعل – يخلق):

إذ جاء تذييل الأولى بقوله: ﭽ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﭼ وفي شأن مريم في السورة نفسها: ﭽ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﭼ؟ ولم أعثر فيما وقفت عليه من كتب المتشابه اللفظي علي شيء يتصل بهاتين الآيتين سوى توجيه المفسرين، وكذا ابن أبي الإصبع المصري الذي تساءل عنه فقال: «لم قال في حق زكريا (يفعل) وقال في قصة مريم (يخلق) والمعنى واحد؛ فإنه بشارة بولد في الموضعين ؟ »[٨٠] وذلك أن تعجب زكريا الذي دل عليه الاستفهام على سبيل الاستعظام [٨١]لم يكن لأمرٍ خارق، بل نادر بعيد وهو تقدير الحمل من شيخ هرم لم يسبق له ولد وامرأة عاقر، فحسن التعبير بـ (يفعل) ؛ إذ كان تكوينًا داخلا في الإمكان العادي[٨٢] ؛ وصيغة

---

(٧٦) ينظر: نظم الدرر: ٢/٧٧.

(٧٧) « الحصور الذي لا يأتي النساء إما من العنة، وإما من العفة والاجتهاد في إزالة الشهوة، والثاني أظهر في الآية ؛ إذ به يستحق المحمدة » المفردات في غريب القرآن: ص ١٢٨.

(٧٨) نظم الدرر: ٢/ ٧٧.

(٧٩) ينظر: التناسب في القرآن الكريم – صوره وأسراره البلاغية، منى النصر: ص ١٢٤-١٣٠.

(٨٠) بديع القرآن: ص ٣٣٦.

(٨١) ينظر: روح المعاني، الآلوسي: ١٥٠/٣ ونصه « الاستفهام على سبيل الاستعظام بقدرة الله، والتعجب الذي يحصل للإنسان عند ظهور آية عظيمة » وقال الأنصاري: « قالها زكريا تعجبًا لا استبعادًا » فتح الرحمن: ص٦٥.

(٨٢) ينظر: الكشاف: ص ٤٢٨؛ البحر المحيط: ٧٣٩/٢ ؛ روح المعاني: ١٤٩/٣، ١٦٤ ؛ التحرير والتنوير: ٢٤٢/٣.

الفعل يخبر بها عمن تكرر منه الفعل، وهو أيسر من الخلق، فإيجاد الذرية من أبوين مهما كان شأنهما أيسر من إيجادها من أم بلا أب، أما تعجب مريم فكان لمطلق التكوين وهو أمر لا يقع إلا خارقًا؛ فكان لفظ الخلق أنسب «لأن الخلق في اللغة هو التقدير والاختراع»(٨٣)

٣- التقديم والتأخير بين جملتي (بلوغ الكبر وعقر المرأة):

فقد قدم الكبر في آل عمران ﭽ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﭼ وعكس في سورة مريم ○ فقال: ﭽ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﭼ وهذا الموضع من الأمثلة على وقوف علماء المتشابه عند المناسبة اللفظية في تعليل الاختلاف بين الموضعين، وأن فاصلة الياء الممدودة في سورة مريم هي التي استدعت تقديم عقر المرأة وتأخير الكبر، وليوافق ﭽ ﮛ ﮜ ﭼ ما بعده من الآيات وهي: ﭽ ﯖ ﯗ ﭼ ﭽ ﯪ ﯫ ﭼ ﭽ ﮊ ﭼ يقول ابن الزبير:« المعنى وإن كان في السورتين واحدا وفى قضية واحدة، فإنَّ مقاطع آي وسورة مريم وفواصلها استدعت ما يجرى على حكمها ويناسبها من لدن قوله تعالى في افتتاح السورة:ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭼ إلى قوله في قصة عيسى υ: ﭽ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﯚ ﭼ لم تخرج فاصلة منها عن هذا المقطع ولا عدل بها إلى غيره، ثم عادت إلى ذلك من لدن قوله تعالى: ﭽ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭼ إلى آخر السورة، فاقتضت مناسبة آي هذه السورة ورود قصة زكريا υ على ما تقدم، ولم يكن غير ذلك ليناسب أمَّا آية آل عمران، فلم يتقيد ما قبلها من الآي وما بعدها بمقطع مخصوص، فجرت هي على مثل ذلك»(٨٤) فهذه مناسبة لفظية يحكمها التلاؤم الصوتي ؛ لأن السورة قد بُنيت على الياء الممدودة، أما آل عمران فلا تحكمها فاصلة. وإن كان ابن جماعة قد

---

(٨٣) بديع القرآن: ص ٣٣٦-٣٣٧، وينظر: نظم الدرر: ٢/ ٩٠. وينظر: فتح الرحمن: ص ٦٥.

(٨٤) ينظر: ملاك التأويل: ١/ ٢٩٨-٢٩٩ ؛ البرهان في توجيه متشابه القرآن: ص ٣٤ ؛ كشف المعاني: ص ٧٩؛ بصائر ذوي التمييز: ١/ ١٦٢؛ فتح الرحمن: ص ٦٤. يقول أبو حيان:« أخَّر ذكر الكبر ليوافق (عتيا) رؤوس الآي، وهو باب مقصود في الفصاحة، يترجح إذا لم يخل بالمعنى » البحر المحيط: ٢/ ٤٧٠.

زاد أنه للتفنن في الفصاحة وأنه قدم الحديث في مريم عن كبر سنه أولا بقوله: چ ٹ ٹ چ ثم أخره هنا(٨٥).

والحق أنه لا يمتنع معه التوجيه المعنوي، كما وجه به الإمام الشعراوي – رحمه الله –، حيث رأى أن بناء عبارة زكريا υ في آل عمران هو من أدب النبوة العالي الذي جعله يقدم بلوغ الكبر حتى لا ينسب لنفسه الصلاحية والعجز إليها، لأن بلوغ الكبر ليس دليلا على العجز عن الإنجاب ؛ فالإخصاب عند بعض الرجال ليس أمرا عسيرا مهما بلغ من العمر إن لم يكن عاقرا، ولكن المرأة إن كانت عاقرا، فذلك قمة العجز في الأسباب، ولو أنَّه قال چ چ ڍ چ فقط لكان أمرا غير مستحب
بالنسبة لزوجته. (٨٦)

وللسَّامرائي توجيه لطيف لتقديم المانع من جهة نفسه في آل عمران، وتقديم المانع من جهة زوجه في مريم، وبيانه أنَّ العقر قد يحصل عن الكبر أو قد يحصل لعارض وقد يكون طبيعة، وقوله (وامرأتي عاقر) يفيد أنَّ هذا شأنها حال الإخبار عنها، وربما لم تكن كذلك قبلا، وأما قوله (وكانت امرأتي عاقرا) فيفيد أنَّ هذا وصفها منذ شبابها، فالعقر وصفٌ مستحكم فيها، وليس عارضا فتكون الولادة في مثل هذا أبعد وأعجب. وقد خصَّ سورة مريم بما هو أبعد وأعجب (٨٧). ولعلَّه قصد مناسبة ذلك لسورة مريم لأنها سورة الرحمة، ومن أعظم دلائل الرحمة أن يرزقه الولد مع قوة المانع.

وبذلك يظهر بما لا يحتاج إلى استدلال أنَّ وقوع المناسبة اللفظية لا يعني انعدام المناسبة المعنوية، وقد نقل السيوطي عن الزمخشري استهجانه للاكتفاء بالجانب الصوتي في البلاغة القرآنية، وبخاصة في

---

(٨٥) كشف المعاني: ص ٧٩ –٨٠. وقرر د.مخلوف أن المناسبة اللفظية وجه معتبر يمكن توجيه المتشابه اللفظي به وحده، سواء انضم إليها اعتبار معنوي أم لا. ينظر: ضوابط التوجيه اللفظي لمتشابه النظم: ص ٥٢٨.

(٨٦) تفسير الشعراوي (الخواطر): ٣/ ١٤٤٧.

(٨٧) ينظر: بلاغة الكلمة في التعبير القرآني، السامرائي: ص ١٣٨–١٣٩.

الفواصل التي شاع لدى المفسرين وقوع المخالفات لأجلها، ونصه: « لا يحسن المحافظة على الفواصل لمجردها إلا مع بقاء المعاني على سردها على المنهج الذي يقتضيه حسن النظم والتئامه، فأمَّا أن تُهمل المعاني، ويهتم بتحسين اللفظ وحده غير منظورٍ إلى مؤداه، فليس من قبيل البلاغة » (٨٨) ولـ د.محمد الأمين الخضري كلمة رائعة في حصول الإعجاز بتمام هذين الجانبين في القرآن حين درس أسرار المغايرة في نسق الفاصلة القرآنية: « إذا نظرت إلى ما فيه من تناسب الفصول والمقاطع خلت أنَّه يعمد إليه ويتوخاه، وإذا تأمَّلت المعاني والأغراض وجدت أنَّه أحكم نسق الألفاظ وفقًا لتواثب المعاني وحركتها في الأذهان، فمن أي جانبٍ نظرتَ وقعت على سرٍّ من أسرار الإعجاز »(٨٩)

المبحث التاسع

قوله تعالى: ﭽ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭼ وفي مريم ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭼ وفيه:

– **التغاير بين لفظتي (الأيام و الليالي)** والأيام غير الليالي، فإن اليوم من طلوع الشمس إلى غروبها والليل ما يقابل النهار، فما سرُّ هذا التنويع ؟

والجواب هو لدفع توهم احتمال أن يكون المنع في الليالي دون الأيام أو العكس، ورفع توهم إفراد أحدهما دون الآخر، يقول ابن عاشور: « جعلت مدة انتفاء تكليمه هنا ثلاث ليال، وجعلت في سورة آل عمران ثلاثة أيام، فعلم أن المراد هنا ليالٍ بأيامها وأنَّ المراد في آل عمران أيام بلياليها »(٩٠) أما اختصاص سورة آل عمران بلفظ (الأيام) وسورة مريم

---

(٨٨) ينظر: الإتقان في علوم القرآن للسيوطي: ٢/ ١٠٥.

(٨٩) من أسرار المغايرة في نسق الفاصلة القرآنية: ص٣. وقد علق د. حسن طبل على أحكام هذا التناسب لدى ابن الصائغ الحنفي) في كتابه (حول الإعجاز البلاغي – قضايا ومباحث) فليراجع: ص ٤٠-٦٧.

(٩٠) التحرير والتنوير:١٦/٧٣. وينظر: نظم الدرر: ٤/٥٢٤.

بلفظ (الليالي) ؛ فلمناسبة لفظ (الأيام) لقوله (رمزا) وهي الإشارة التي تفهم دون نطق، وفي مريم لم يذكر الرمز. (٩١)

ومعنى آخر وهو أنَّ السياقين يمثلان مقابلة ظاهرة، وأن لفظي (الأيام) و(الليالي) يدلان على تقابل ما بين الليل والنهار ؛ إذ اليوم عكس الليلة كأنهما لوحتان فنيتان متقابلتان ومن مظاهر هذا التقابل:

- تقديم الكبر على العقر في آل عمران، والعكس في مريم.
- تقديم العشي على الإبكار في آل عمران مع تعريفها:ﭽ ﮓ ﮓ ﮓ ں ڻ ڻ ﭽ وتقديم البكرة في مريم مع تنكيرهما: ﭽ ﭙ ﭙ ڈ ڈ ﮋ ﮋ ﮊ ﮊ ﭽ فسياق قصة مريم وجوُّها يناسبه اختيار الليل، ففيها ذُكِر نداء زكريا الخفي ﭽ ﭙ ﭙ ﭙ ﭙ ٹ ﭽ والخفاء يناسبه الليل للظلمة، وذكر شيخوخته وضعفه (عتيا)، والعتوّ غاية اليبس، وهما أشبه شيء بالليل وما فيه من سبات،مثلما الشباب أشبه شيء بالنهار وما فيه من حركة،كما أنه في مريم طلب الوريث بعد موته، والموت أشبه بليل طويل فكانت الليال أنسب. أما آية آل عمران فناسبها لفظ (اليوم) ؛ لأن البشارة فيها أكمل لقوله: ﭽ ﭪ ﭪ ﭪ ﭪ ﭪ ﭪ ﭩ ﭩ ﭩ ﭩ ﭽ ﭽ ﭽ ﭽ ﭽ وفي مريم: ﭽ ڈ ڈ ڈ ژ ژ گ ﭽ وهذه البشارة تقتضى الشكر والذكر الكثير والتسبيح ﭽ ﮓ ﮓ ﮓ ﭽ والنهار أنسب لكثرة الذكر ؛ إذ الليل محل النوم، والعبادة فيه أقل(٩٢).

المبحث العاشر

قوله تعالى: ﭽ ﭽ ﭽ ﭽ ﭽ ﭽ ﭽ ﭽ ﮊ ﮊ ڈ ڈ ڈ ڈ ڈ ژ ژ ژ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ گ گ گ گ گ گ ں ں ڻڻ ھ ﭽ وفي المائدة ﭽ ﭽ ﭽ ﮊ ﮊ ڈ ڈ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ گ ﭽ وفيه:

١- التذكير والتأنيث بين (فأنفخ فيه – فتنفخ فيها):

---

(٩١) ملاك التأويل: ١/ ٢٩٩ -٣٠٠.

(٩٢) ينظر: من بلاغة الكلمة في التعبير القرآني، د. فاضل السامرائي: ١٣٤- ١٣٥.

وقد تساءل الإسكافيُّ عن سرِّ تذكير الضمير وتأنيثه في الموضعين، وأنه إذا كان المذكور في الموضعين كهيئة الطَّير، وصلح أن يعود الضمير إلى مذكَّر وإلى مؤنث، فيراد مثل هيئة الطير،أو هيئة كهيئة الطير وهي مؤنثة، فما بال آل عمران خُصَّت بالتذكير، وسورة المائدة خُصَّت بالتأنيث ؟ (٩٣) ثم كشف عن مناسبة معنوية لطيفة، وهي أن الأولى من كلام المسيح υ في ابتداء تحدِّيه بالمعجزة وقوله لبني إسرائيل (أني قد جئتكم...) والمعنى: آخذ من الطين ما أصور منه صورة على هيئة الطير، فأنفخ فيه فيكون حيوانا لحمًا ودمًا وعظمًا فناسب إعادة الضمير بالمفرد المذَّكَّر؛ لأنَّ المقصود أول ما يصوِّر من الطين على هيئة الطَّير في ابتداء وقوع المعجزة ؛ لأنَّه يكون واحدًا تلزم به الحجة، أما التي في سورة المائدة فهي من كلام الله تعالى يوم القيامة في سياق ما عدَّد من النِّعم على عيسى υ وما أظهر على يده من الآيات والمعجزات، وابتداؤها چ ڈ ڈ ٹ ٹ ٹ ڈ ڈ ف ف ڤ ڤ ڤ ڤ چ بمعنى أنَّه كان قد وقع ذلك منه مرَّات، فحسن التأنيث؛ لجماعة ما صوَّر من ذلك ونفخ فيه، وليس أول ما يبديه لبني إسرائيل.(٩٤) فالإخبار في آية آل عمران قبل وقوع الفعل فوحَّده، وفي المائدة بعد وقوعه من عيسىυ مرَّات فجمعه (٩٥).

وهذا التوجيه يؤيده السياق؛ فآية آل عمران جاءت بعد بشارة مريم بعيسى υ چ ئو ئو ئۇ ئۇ ئۆ ئۆ ئۈ ئۈ ئې ئې ئى ئى ئى ئى ی ی ی ی □ □ □ چ حتى قال: چ ج چ چ چ چ چ چ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڍ ڍ ڌ ڌ ڌ ڌ ڎ ڎ ژ... ھ چ فإما على حكاية المستقبل، أي سيكون منه ذلك بدلالة الفعل (أخلقُ)، وأنَّه كان يتحدث عن معجزة لم تقع بعد، أو هو من كلامه υ في ابتداء التحدي، فتكون جملة چ ڈ ڈ ڈ ڎ ڎ ژ چ تفسيرًا لكلمة (آية)، كما أن موقفهم إزاء هذه المعجزة جاء مصدرًا بـ (لما) چ ئه ئه ئو ئو ئۇ چ وهي ظرف زمان بمعنى (حين) مما يدل على وجود فارق زمني بين الإخبار بالمعجزة

(٩٣) ينظر: درة التنزيل: ص٣٤ ؛ الكشاف: ١/٤٣١، ٦٥٣ ؛ التفسير الكبير: ١٢/ ١٢٦.

(٩٤) ينظر: السابق: ص ٣٤-٣٥ ؛ ملاك التأويل: ١/ ٣٠٢-٣٠٣.

(٩٥) ينظر: البرهان، الكرماني: ص ٣٤ ؛كشف المعاني: ص ٨٠ ؛ فتح الرحمن، الأنصاري: ص ٦٧.

ووقوعها، وبين ردود الفعل إزاءها. وآية المائدة الخطاب فيها يوم القيامة ﭽ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ وهذا ليس أول ما يبديه لبني اسرائيل من المعجزات، ولذلك استخدم الظرف الدال على الزمن الماضي (إذ) مع الفعل المضارع الدال على تجدد الحدث وتكرار الخلق ﭽ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭼ [٩٦]

ولا يخفى ما فيه هذا التّحليل من إخراجٍ للبلاغة من دائرة الجملة إلى دائرة النَّص بإخضاعه إلى نظرة شاملة قائمة على تحليل التراكيب للبحث عن خصائصها دون تمزيق لأجزائه، فالمسألة متعلِّقة بإفراد ضمير وجمعه في آية، ولكن النَّظر امتدَّ لمجموع الآيات السابقة ليستمدَّ حكمه. وقد لحظ ابن الزبير مناسبة لفظية، وهي أنَّ في آية آل عمران بمعنى (مثل) وهو مذَّكر، وفي آية المائدة بمعنى صفة، فروعي اللفظ أولا والمعنى ثانيا، أو لمناسبة ورود الضمائر قبلها مذكَّرة من قوله: ﭽ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ إلى ﭽ ﭭ ﭾﭽ حيث ذُكر نحوٌ من عشرين ضميرا مذكرًا،

فورد الضمير مذكرًا ليناسب هذه الضمائر، أما آية المائدة فمفتتحة بـ (اذكر نعمتي عليك) فناسبها التأنيث « فجاء كل من الآيتين على أتم مناسبة »[٩٧]

٢- الإظهار والإضمار بين: (بإذن الله – وبإذني)

قد سبق أنَّ آية آل عمران في إخبار عيسى υ برسالته وبما أيَّده الله به من المعجزات، فقال (بإذن الله) لأنَّه من كلامه υ، أما آية المائدة ففي سياق تعداد نعم الله عليه يوم القيامة، فقال: (بإذني) ؛ لأنَّه من كلام الله[٩٨] ولشدَّة تأييد الله له جاءت الإضافة إلى الضمير في (بإذني) مع تكرره أربع مرَّات مع كل معجزة، وفائدته الردُّ على من غالى فيه من النصارى ممن رفعه إلى درجة الألوهية، وقطع توهم من توَّهم أنَّها معجزات من عند نفسه، ويؤيده أنَّ آية آل عمران إخبارٌ وبشارة لمريم بما مُنح ابنها

---

(٩٦) ينظر: التنويع الأسلوبي في صور التكرار القرآني: ص ٥٥.

(٩٧) ملاك التأويل: ١/ ٣٠٢-٣٠٣.

(٩٨) ينظر: فتح الرحمن: ص ٦٧.

عيسى وبمقالته υ لبني إسرائيل تعريفًا برسالته، وتحديًا بمعجزاته للتبرؤ من دعوى استبداده أو انفراده بقدرة كما يفهم من قوله:چ ڈ ڈ ڈ ڈ ژ ژ ڑ چ وأما آية المائدة فقد بُنيت على توبيخ النصارى لتأليه عيسى υ، ومثَّل ابن الزبير لذلك فيما يجري بيننا بقول السيد لعبده الأحب إليه، المتبرئ من عصيانه، معدِّدا نعمه عليه: هل أحسنتَ لفلان إلا بما أعطيتك، هل قهرتَ عدوك إلا بمعونتي ؛ لقطع توهم أنَّ ما كان منه من إحسان أنَّه من قبل نفسه، فإذا قرَّره بذلك واعترف به انقطعت حجة من توهم استقلاله به، يقول: « فأعلمَ الله سبحانه أنَّ تلك الآيات بإذنه، وأكَّد ذلك تأكيدا يرفع توهم حول أو قوَّة لغير الله سبحانه، ونزَّه نبيَّه عيسى υ عن نسبة شئ من ذلك لنفسه مستقلا بإيجاده،وبرَّأه من شنيع مقالتهم، ويزيدُ هذا الغرض بيانا قوله بعدها: چ چ چ چ چ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ژ ژ چ فهل هذا للنصارى إلا أعظم تقريع ؟... فآية آل عمران بشارة وإخبار لمريم، وآية المائدة واردة فيما يقوله سبحانه لعيسى υ توبيخا للنصارى، فلمَّا اختلف القصدان اختلفت العبارتان»[٩٩] وقد وجَّه أبو حيان تكرار(بإذني) في المائدة بأنه مناسبٌ لمقام الإطناب ومقام الامتنان وتعداد النعم [١٠٠].

المبحث الحادي عشر

قوله تعالى: چ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې چ وفي مريم بالعطف چ ئو ئو ئۇ ئۇ ئۆ ئۆ ئۈ ئۈ ئې ئې چ وفي الزخرف بزيادة التوكيد بضمير الفصل (هو) چ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڄ ڄ ڄ ڄ والمعنى: خالقي والقائم بمصالحي لا غيره،أو إنه هو ربي لا أبي كما زعمتم [١٠١] ففيه كما نرى من المسائل:

---

(٩٩) ملاك التأويل: ١/ ٣٠٣ – ٣٠٥ (بتصرف)، وينظر: الكشاف: ١/ ٤٣١.

(١٠٠) ينظر: البحر المحيط: ٤/ ٧١ ؛ بلاغة المتشابه اللفظي عند أبي حيان، د. مريم القرشي: ص١٩٣ –١٩٤.

(١٠١) ينظر: درة التنزيل: ص٣٦.

١- الوصل والفصل في (إن الله ربي) و (وإن الله ربي)

وذلك أنَّ آية مريم تضمَّنت مقالة عيسى υ في المهد مخبرا عمَّا منحه الله من الخصائص الاصطفائية كقوله:چ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ئو چ ثم حال الولادة والموت والبعث، وهذه أحوال يتنزه الرب Y عنها، وكان من تمام إخباره υ إقراره بربوبية الله للكل، كأنَّه يقول: إني عبدالله ومخصوص منه بكذا وكذا ومعترف بانفراده بالملك، ولكنه ورد بعد چ ے ۓ ۓ ڭ... ٹ چ فأوهم أنَّ كلامه قد تم وشرع في حقيقةٍ أخرى، وأن الجمل مفصولة عن بعض، فجاء حرف النسق؛ ليتصل بقوله υ: چ ۀ ہ ہ ہ ھ ھ ے چ ولم يعرض في الأخرى ما يوجبها (١٠٢)

وهذا منهج يُحمد لعلماء المتشابه -كما مر -، وهو الخروج من دائرة الجملة أو الآية (موضع الشاهد) إلى مجموع الآيات كاملة، وإلى النظرة الكلية للسياق من أول القصة بغية تعليل المتشابه، ويؤكد أنه من الأسس الهامة التي يبني عليها علماء المتشابه توجيهاتهم.

٢- التوكيد بضمير الفصل (إن الله هو ربي)

في سورة الزخرف دون آيتي مريم وآل عمران، وسره أنهما سبقتا بالآيات الدالة على توحيده Y وقدرته والعبودية له ما أغنى عن التوكيد ؛ ففي آل عمران عشر آيات من قصة مريم وعيسى υ، من قوله:چ ٹ ٹ ٹ ٹ ہ ہ ہ ہ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ڭ ڭ ڭ ڭ ۇ... چ إلى قوله: چ ہ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ڭ ڭ ڭ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ و چ وفي مريم عشرون آية، فلما تناصرت الآيات في آل عمران في ذكره، ودلت على إحداثه وخلقه، وأنه مربوب مصنوع بكثرة الأفعال التي أسندت إليه، والله ربه ومالكه والقائم بمصالحه، أصحبه المعجزات الدالة على صدق نبوته، وكذب من قال ببنوته، وكذلك في سورة مريم كانت العشرون الآية ناطقة بأن الله ربه، فاكتفى بما طال من الكلام المؤكد لحاله عن التوكيد الذي جاء في آية الزخرف ؛ لأنها جاءت بعد قوله: چ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ چ يقول: « فالموضع الذي خلا من الآيات

(١٠٢) ينظر: ملاك التأويل: ١/ ٣٠٦ – ٣٠٨.

الدالة على أن الله تعالى ربه، وهو عبده لا ابنه حسن تأكيد الكلام فيه صرفا للناس عما ادعوا من أنه ابن الله إلى أنه عبده. ألا ترى قوله في سورة مريم چ ۈ ۋ ۇ ۆ ۆ ۈ ۇ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ى ى ئا ئا ئە ئە ئو ئو ئۇ ئۇ ئۆ ئۆ ئۈ ئۈ چ » (١٠٣) كما أنه تقدمها ذكر آلهتهم چ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ى ى ئا ئا ئە ئە ئو ئو ئۇ ئۇ ئۆ ئۆ ئۈ ئۈ چ فناسبه تأكيد كلامه چ ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ چ فأحرز(هو) معنى هؤلاء غيره (١٠٤)

المبحث الثاني عشر

قوله تعالى: چ ئې ئې ئى ئى ی ی ی ی ئج ئح چ وفي المائدة : چ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ڭ ڭ ڭ ڭ ۇ ۇ چ وفيه:

حذف نون التوكيد وإثباتها (إنا – إننا): والتخفيف جائز في الموضعين كما يجوز الأصل فيهما بإثبات النون (١٠٥)، وإذا خُففت خفَّ توكيدها (١٠٦)؟

والمتأمل يجد أن سياق آية المائدة احتاج إلى البناء الأقوى فجاء على الأصل (بأننا)، وذلك لعدة اعتبارات: أولها مراعاة السياق التاريخي كما يُسمى في علم اللغة الحديث، وهو ما عرف عند علمائنا بمراعاة المقام أو مقتضى الحال (١٠٧)؛ فما جاء في المائدة هو أول

---

(١٠٣) درة التنزيل وغرة التأويل: ص ٣٦ .

(١٠٤) ينظر: ملاك التأويل: ١/ ٣٠٨ – ٣٠٩.

(١٠٥) ينظر: البحر المحيط: ٤/ ٥٧.

(١٠٦) ينظر: معاني النحو، فاضل السامرائي: ١/ ٣٢١-٣٢٢. ونصه بخصوص (إنَّ): « إن تخفيف نونها يشير إلى تخفيف توكيدها مشبهة في ذلك نون التوكيد الخفيفة، وقد ذكر النحاة أن نون التوكيد الثقيلة آكد من الخفيفة، وهذه نظيرة تلك »

(١٠٧) ينظر: اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان: ص ٣٤٦. ويقول:«وقد سبق البلاغيون العرب في حديثهم عن المقام ما أنتجه البحث اللغوي من مفاهيم حول سياق الحال،ولكنهم لم يجدوا الدعاية العالمية كما وجد اصطلاح مالينوفسكي» ص٣٧٢

كلامهم عند الإيحاء لهم والمخاطِب هو الله Y فناسبه تأكيد انقيادهم إليه

چ ہ ھ ہ ھ ھ ے ے ۓ چ (١٠٨)، وأما آية آل عمران فخطابهم للمسيح υ لما سألهم عما أقروا به لله تعالى، فكان إقرارًا ثانيًا له υ، والعرب تستثقل في المعاد ما لا تستثقل غيره، لذلك كان التخفيف.(١٠٩) والمتأمل في هذا التوجيه يلحظ أنه لم يراعِ ترتيب المصحف، وقد أكد ابن الزبير أنه أصل مرعي في الفصاحة(١١٠)، ولا ترتيب النزول أيضًا ؛ فآل عمران قبل المائدة ترتيبا ونزولا، وهو توجيه مقبول إذا أُضيف إليه التوجيه بمراعاة السياق ؛ فإن آية المائدة في تعداد النعم على عيسى υ خلافا لابن جماعة الذ رأى أن تعداد النعم على الحواريين بدلالة: چ ڤ ڤ ڤ ڤ ٹ ٹ چ يقول البقاعي:« ولما كان في سياق عدِّ النعم والطواعية لوحي الملك الأعظم دلوا عليه بتمام الانقياد، فناسب المقام زيادة التأكيد بإثبات النون الثالثة »(١١١) والتوجيه الثالث لمناسبة التفصيل والإيجاز ؛ فإن آية المائدة ورد فيها التفصيل فيما يجب الإيمان به چ ھ ے ے ۓ چ فناسبه (أننا) وفي آل عمران لم يقع التفصيل إيجازًا ؛ ولشهادة السياق عليه، يقول ابن الزبير:«ناسب الإيجاز الإيجاز كما ناسب الإتمام في آية المائدة الإتمام »(١١٢) ونلحظ تنوع التعليلات ؛ فمِن الواقع التاريخي، إلى التفصيل والإيجاز، إلى السياق، وكلها قواعد معتبرة في التوجيه.

المبحث الثالث عشر

---

(١٠٨) ينظر: درة التنزيل وغرة التأويل: ص ٣٧ ؛ كشف المعاني: ص ٨١.

(١٠٩) ينظر: درة التنزيل وغرة التأويل: ص ٣٧ ؛ البرهان في توجيه متشابه القرآن: ٤٧ ؛ كشف المعاني: ص ٨١.

(١١٠) ينظر على سبيل المثال: ملاك التأويل: ١/ ٣٠٢، ١/ ٣١٦.

(١١١) ينظر: نظم الدرر: ٢/ ٥٦٤. (بتصرف)

(١١٢) ينظر: ملاك التأويل: ١/ ٣١٠.

قوله تعالى: چ ہ ہ ھ ھ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ﮭ ﯓ ﯔ ﯕ
ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ چ وفي البقرة: چ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ
ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ چ والأنعام: چ گ گ گ ں ں ڻ ڻ ۀ ۀ ہ ہ ہ ہ ھ چ
ويونس:
چ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ چ

حذف نون التوكيد وإثباتها في (فلا تكن – فلا تكوننَّ)

وتعليله أن السياق في آية سورة البقرة في موضوع تحويلِ القبلة إلى بيت المقدس، ثم نسخِ الأمر والتحول إلى الكعبة، وما نتج عنه من بلبلة أثارها اليهود والمشركون، وما صحبها من إرجاف وحرب نفسية على المسلمين حتى ارتدَّ بعض ضعاف الإيمان، وقد سبقها: چ ٻ ٻ ٻ ٻ ٻ ٻ ٻ ٻ ٻ ٻ ٻ ٻ ٻ چ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ چ چ چ چ چ چ چ
چ ڌ ڌ ڌ ڌ گ چ وتأكيد استحالة توجه أهل الكتاب إلى قبلة المسلمين بصيغة القسم: چ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ چ لذلك احتاج إلى التوكيد [١١٣] يقول أبو حيان: «وأكَّد النهي بنون التوكيد مبالغة في النهي، وكانت المشددة ؛ لأنها أبلغ في التأكيد من المخففة»[١١٤]والنبي يُجَلُّ عن الشك ؛ إذ لم يكن ممتريًا وإلا كان ذمًّا له υ لكنه لزيادة الثبات والطمأنينة[١١٥] وتأمل كيف تكررت كلمة الحق في سياق آية البقرة؛ للدلالة القوية على حرص القرآن على ترسيخ هذا القضية في النفوس.[١١٦] وكذلك الشأن في آيتي الأنعام ويونس.[١١٧] وهذا التعليل أولى من التعليل المكتفي بالجانب اللفظي الذي أوجب إثباتها ؛ ليحصل التناسب بين: فلنولينك.. فلا تكونن.[١١٨]

---

(١١٣) ينظر: التعبير القرآني، فاضل السامرائي: ص ١٣٢.

(١١٤) البحر المحيط: ١/ ٦١٠.

(١١٥) الكشاف: ١/ ٤٣٢.

(١١٦) ينظر: المتشابه اللفظي في القرآن رؤية في التفسير من خلال اللغة والسياق، محمد القاضي: ص ٢٢٧.

(١١٧) ينظر توجيههما في: التعبير القرآني، فاضل السامرائي: ص ١٣٣.

(١١٨) ينظر: البرهان في توجيه متشابه القرآن : ص ٤٧ ؛ وفتح الرحمن: ص ٣٩.

المبحث الرابع عشر

قوله تعالى: ﭽﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ...ﮏ ﭼ وفي البقرة: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ... ﭳ ﭼ وفيه :

التقديم والتأخير في: (قل إن الهدى هدى الله) (قل إن هدى الله هو الهدى) ؛

حيث قدم (الهدى) في الأولى، وأخرها مع ضمير الفصل في الثانية ؟ ومن وجوه التعليل لهذا التنويع أن المراد بالهدى في البقرة تحويل القبلة ؛ لأن الآية نزلت فيه، والمراد بالهدى في آل عمران الدين ؛ لتقدم (لمن تبع دينكم)(١١٩) هذا هو توجيه ابن جماعة دون تعليل قويّ لهذا التغاير!

وبتأمل الآيتين يتبدَّى لنا أنَّ بناء آية البقرة آكد وأقوى من بناء آية آل عمران، وذلك من وجوه: التوكيد بإن لتحقيق الخبر والاهتمام به، وإبطال تردد المتردد، والإخبار في الأولى عن الهدى عامة، والثانية إخبار عن هدى الله خاصة بالإضافة إلى الاسم الأعظم، ولا يخفى ما في هذه الإضافة من تشريف وقوة، وتعريف (الهدى) بأل لتعريف الجنس الدال على الاستغراق، والقصر بضمير الفصل أولا، ثم بتعريف الجزأين ثانيا (هدى الله هو الهدى)؛ لإفادة أن غيره هو الهوى.. وليس في آية آل عمران سوى التوكيد بإن وتعريف الطرفين، وسرُّ اختصاص آية البقرة بالجملة الأقوى تأكيدًا هو أنَّ سبب نزولها « أنَّ اليهود والنصارى قال كل حزب منهم إن الهدى هو مانحن عليه دون ما عليه غيرنا من سائر الملل »(١٢٠) إذن فالشأن في تغيير الدين بإصرار وعزيمة وقوة بدليل ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭼ وكذا ابتداء الآية بنفي التأبيد (لن) (ولن ترضى) لأنَّها لنفي المستقبل، فاليهود والنصارى لم ترض بالنبي إلا أن يكون يهوديًا أو نصرانيًا، بل ختمت بتهديد عظيم وهو قوله ﭽ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭼ وفيه من التوكيد ما لا يخفى حتى قال ابن كثير: إنَّ هذا

---

(١١٩) ينظر: كشف المعاني: ص ٤٩.

(١٢٠) جامع البيان، الطبري:١/ ٧٢٢.

الختام « تهديد ووعيد شديد للأمة من اتباع طرائق اليهود والنصارى»(١٢١) فجاءت العبارة التي تقدَّم فيها (هدى الله)؛ لغرض تثبيت المسلمين وشحذ همهم للزوم الإسلام، وقابلت قوة محاولاتهم لتحويلهم المؤمنين عن دينهم بقوة تثبيتهم على الحق، وناسب سياق آية آل عمران العبارة الأقل تأكيدًا ؛ إذ لم يكن إلا في الإخبار عن كيد اليهود للمؤمنين ؛ لفتنتهم في دينهم للرجوع عنه، قال مجاهد:«حسدًا من يهود أن تكون النبوة في غيرهم »(١٢٢) في هذا السياق يأتي قوله (قل إن الهدى هدى الله) اعتراض أثناء حوار اليهود: لا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم ولا تصدقوا بأن يؤتى أحدٌ مثلما أوتيتم من العلم والحكمة والكرامات، أُمر النبي أن يقوله لهم استبعادًا لحصول هداية أحد إلا بتقدير الله.

المبحث الخامس عشر

قوله تعالى: چ ئه ئو ئو ئۇ ئۇ ئۆ ئۆ ئۈ ئۈ ئې ئې ئى ئى ئد ى ى ي ي □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ىچ **وفي البقرة:** چ ہ ہ ھ ھ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ڭ ڭ ڭ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ى ى ئا ئا چ **وفيه: ذكر وحذف جملة (ولا ينظر إليهم):**

فالآيتان في عقوبة علماء أهل الكتاب الذين كتموا ذكر بعثة النبي ρ وصفته للناس، واقترفوا ما اقترفوا من المخالفات، اتفقتا في ثلاث عقوبات، ثم انفردت آية آل عمران بـــ (لا خلاق لهم في الآخرة) أي لاحظ لهم ولا نصيب، وعقوبة عدم النظر، واختصت البقرة بعقوبة (ما يأكلون في بطونهم) فما سرُّ هذا الاختلاف ؟ وذلك أن نفي الكلام ونفي النظر شائعان في الكناية عن الغضب، فالنظر والكلام المنفيان عنهم هو نظر التكريم وكلام التكريم، وهو تهديد ووعيد بعذاب الآخرة، لكن النظم

(١٢١) ينظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير:١/ ١٦٨.

(١٢٢) جامع البيان، الطبري:٣/ ٤٢٧.

زاد في آل عمران الوعد بأن لاحظ لهم ولا نصيب، وعدم النظر، وفي البقرة الوعد بأكل النار. (١٢٣) ولو تأملنا الذنب فيهما

سنجد أنه في آل عمران أعظم ؛ لسببين:

١ـ أنَّه اشتراء بعهد الله وأيمانهم ثمنًا قليلا، وعهد الله هو بالإيمان بالنبي وذكر صفته، وأيمانهم هي الأيمان التي عقدوها بالتزام متابعة الحق على ألسنة الرسل، وهذا الجرم أعظم من مجرد كتمان البشارة بالنبي أو بعض الأحكام كما في البقرة، بل تجاوزوا كتمان العلم إلى تغيير الحق ودعم الباطل، فلما زادوا في الذنب زاد الله لهم في العقوبة، فقال: (ولا ينظر إليهم) ٢ ـ أنَّ سياق آية آل عمران في الوفاء بعهد الله ؛ إذ سبقها چ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ى ى ئا ئا ئە ئە چ وسبق آية البقرة الكلام على الميتة والدم ونحوهما:چ ڑ ڑ ک ک ک ک چ(١٢٤) وإن كان ابن جماعة قد رأى أن الذنب في البقرة أشدُّ وأعظم ؛ لأنَّه إضلال لغيرهم مع كفرهم أنفسهم ؛ لذا توعدهم بأكل النار، وأرى أنَّ الوعيد بأكل النار عقوبة عامة لأهل النار بعكس التهديد بأنَّه لا نصيب لهم في الآخرة، وأنَّ الله لا ينظر إليهم(١٢٥).

(١٢٣) ينظر: التحرير والتنوير، للطاهر ابن عاشور: ٢/ ٢٦، ٣/ ٥٩ .

(١٢٤) ينظر: التعبير القرآني، فاضل السامرائي: ص ١٢٤ .

(١٢٥) ينظر: كشف المعاني: ٥٧-٥٨.

المبحث السادس عشر

قوله تعالى مخاطبًا نبيه ρ: چ ٱ ب ب ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ وفي البقرة مخاطبًا الأمة: چ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ چ چ ڇ ڇ وفيه من مسائل التشابه:

١- الإفراد والجمع بين (قل – قولوا):

وتعليله أن سياق آية آل عمران في أخذ الميثاق: چ گ گ گ ں ں ڻ ڻ ڻ ۀ ہ ہ ہ ھ ھ ھ ھ و چ فعيَّنه في هذا التكليف بـ (قل) ؛ ليظهر تصديقه مع الأنبياء الذين أُخذ عليهم الميثاق، وأن هذا التكليف ليس من خواصه، بل هو لازم لكل المؤمنين، أما آية البقرة فصدرت بخطاب للمسلمين ردًا على قول أهل الكتاب لهم چ ب ب ب ٻ ٻ پ ڀ چ[١٢٦] فناسب قولهم (كونوا هودا) (قولوا آمنا) تثبيتًا لهم على لزوم الإسلام.. فلله ما أحكم بيانه !

٢ – الإبدال بين الحروف: (على – وإلى)

وجوابه مرتبطٌ بالفرق بين معنييهما[١٢٧]، فـ(إلى) للانتهاء إلى الشيء من أية جهة كانت، أما (على) فهي مختصة بالفوقية والعلو ؛ لذلك اختصت الأولى بالعلو ؛ لأن الخطاب للنبي (قل) والثانية بـ (إلى) ؛ لأنه للأمة (قولوا) ؛ لأن الوحي منتهي إلى الأنبياء وأممهم وإلا فالإنزال على الحقيقة خاص بالأنبياء[١٢٨]

واعتُرض عليه بمثل قوله: چ ڈ ڈ ڈ ژ ژ ڑ چ [آل عمران] وقوله چ ڇ ڇ ڇ ڍ چ [المائدة] فاستخدم (على) مع المؤمنين و(إلى) مع

---

(١٢٦) ينظر: درة التنزيل: ص ١٩ ؛ وملاك التأويل: ٢٣٨/١-٢٣٩ ؛ البرهان في توجيه متشابه القرآن: ص ٣٥ ؛ كشف المعاني: ٥٢ ؛ فتح الرحمن: ٣٦-٣٧ ؛ البحر المحيط:٥٣٩/٢.

(١٢٧) ينظر في معنى (إلى) و (على): مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ابن هشام: ١٠٤، ١٩٠.

(١٢٨) ينظر: درة التنزيل وغرة التأويل: ص ١٩ ؛ وملاك التأويل: ٢٣٨/١-٢٣٩ ؛ البرهان في توجيه متشابه القرآن: ص ٣٥ ؛ كشف المعاني: ٥٢ ؛ فتح الرحمن: ٣٦-٣٧ ؛ البحر المحيط:١/ ٥٢٩.

النبي، بل رآه الزمخشري تعسفًا[١٢٩]، وهو اعتراض وجيه ؛ فقد ورد الإنزال للنبي في تسعة عشر موضعًا معدى بـ (إلى) وفي ثمانية عشر موضعًا معدى بـ (على)[١٣٠] تأمل قوله:چ چ چ چ ڈ چ و قوله: چ ٱ ب ب ٹ چ [الزمر] وستجد أن كل موضع عُدي فيه بـ (إلى) فلتشديد التكليف عليه، وتنزيله منزلة أمته فيما يجب على عالمهم تبيينه لمتعلمهم، أما المعدى بـ (على) فالمراد أنه شرَّفك وأعلى به ذكرك [١٣١] ومن العلماء من جعله للتنويع وأن الإنزال على نبي الأمة إنزال عليها[١٣٢]. وهذا لا يكفي في البلاغة المعجزة، فالقرآن يختار ألفاظه بدقة متناهية ويضعها في مكانها بميزان مضبوط.

٣- الذكر والحذف (ما أوتي):

وسرُّ اختصاص البقرة بذكر (وما أوتي) أنَّ آية آل عمران صُدِّرتْ بقوله چ گ گ ں ں ڻ ڻ ڈ ڈ ژ وچ فقدَّم ذكر إيتاء الكتاب، واكتُفي به عن التكرار، أمَّا في آية البقرة فالسياق يحتاج إلى التَّأكيد ؛ يقول الإسكافي تعليقا على آية آل عمران: «وبيان ذلك أنَّ هذه العشر مبنيَّة على ذكر عهد الله إلى الأنبياء، وما أخذ عليهم من المواثيق في تبيين ما أنزله إليهم للناس، فقوله (وما أوتي النبيون من ربهم) هو قوله (وإذ أخذ الله ميثاق النبيين..) في المعنى، فلما تقدم هذا الذكر وجاء (وما أوتي موسى وعيسى) اكتفى من إعادة (وما أوتي النبيون) بالذكر المتقدم، ولما لم يتقدم في سورة البقرة ذكر إيتاء النبيّين ما أوتوا من الكتب في هذه العشر لم يكن فيه ما يغني عن التوكيد بإعادة اللفظ، هذا الفرق بين الموضعين » [١٣٣] ومن لطائف هذا الذكر:

---

(١٢٩) ينظر: الكشاف:١/ ٤٤٢.

(١٣٠) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبدالباقي: ٨٦٧-٨٦٩.

(١٣١) ينظر: درة التنزيل: ص ١٩ -٢٠.

(١٣٢) ينظر: الكشاف: ١/ ٤٤٢ ؛كشف المعاني: ٥٢-٥٣.

(١٣٣) ينظر: درة التنزيل: ص ١٩ -٢٠.

- أنها جاءت في سياق ذكر عدد من الأنبياء مثل إبراهيم وإسماعيل ويعقوب وبنيه وغيرهم، فلما جرى ذكرهم ناسب ذلك تكرار الإيتاء لهم، ومنها أنها وردت بعد چ ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ ڀ چ فلما جرى ذكر هاتين الملتين ناسب تخصيص نبييهما بالإيتاء.

- ومنها أن الجو التعبيري في البقرة يقتضي لفظ الإيتاء، لتكرر مادته فيها نحو: آتى، آتينا أوتي... في أربعة وثلاثين موضعًا، في حين اقتصرت على تسعة عشر موضعًا في آل عمران، ووردت بعد ذكر أخذ الميثاق من النبيين على الإيمان بالنبي ρ إن هم أدركوه، والتأكيد على اتباع الإسلام: چ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک چ وقال بعدها: چ ڤ ڤ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ چ فناسب عدم الذكر ؛ لأنَّه فيما أوتي نبينا لا فيما أوتي غيره.(١٣٤)

(١٣٤) ينظر: التعبير القرآني: ص ٢٠٧-٢٠٨ .

المبحث السابع عشر

قوله تعالى: ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﭼ وقال في التوبة: ﭽ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭼ وفيه:

التغاير بين (إيمانهم – إسلامهم):

والمذكورين في الآيتين قد وقع منهم كفر بعد إجابة، وتعليله معتمد على اختلاف حال المقصودين ؛ فآية آل عمران نزلت في حارث بن سويد الأنصاري الذي أسلم ثم ارتد ولحق بالكفار، ثم ندم فأرسل إلى قومه ليسألوا النبي ρ هل له من توبة ؟ فسألوا رسول الله فنزلت الآية، فكتبوا بها إليه، فرجع وأسلم وحسن إسلامه، ولم يكن في إسلامه قد عُرف بنفاق ولا أنه أبطن خلاف ما أظهر من إسلام، فهو أقرب إلى الإيمان والتصديق، فناسبه الوصف بالإيمان، أما آية التوبة فنزلت في الجلَّاس الذي قال في غزوة تبوك: لئن كان ما يقول محمد حقًا لنحن شرٌّ من الحمر، فنمى ذلك إلى رسولρ فاستدعاه فحلف ما قال، وكان معروف النفاق، فكان لفظ الإسلام أنسب لحاله ؛ لأن الإسلام لمن اتَّصف به في ظاهره دون التصديق بالقلب(١٣٥) ولدلالة معنوية أخرى، وهو أن السياق في المنافقين الذين يجددون الاستخفاف بالله تعالى بدلالة (يحلفون) وهذا دال على أن إيمانهم كذب، وأفعالهم لا حقائق لها.(١٣٦)

---

(١٣٥) ينظر: ملاك التأويل: ١/ ٣١٠ ؛ أسباب النزول للواحدي: ص ١١٧.

(١٣٦) ينظر: نظم الدرر، البقاعي: ٣/٣٦١.

المبحث الثامن عشر

قوله تعالى: چ ئه ئه ئو ئو ئۇ ئۇ ئۆ ئۆ ئۈ ئۈ ئې ئې چ وفي الأعراف في خطاب شعيب لقومه چ گ گ ں ں ڻ ڻ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک چ **وفيه: الفصل والوصل في (تبغونها عوجًا) (وتبغونها عوجًا)**

وتعليل هذا الاختلاف ظاهر ؛ إذ يرتكز على مناسبة معنوية نحوية خالصة، وهي: أن تبغون في الأولى حال، وإذا كان الفعل حالا لم تدخله الواو، وفي الأعراف جملة معطوفة على جملة، والمعنى: توعدون، وتصدون، وتبغون (١٣٧).

المبحث التاسع عشر

چ گ گ گ گ ں ں ڻ ڻ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک چ وفي البقرة چ ئه ئه ئو ئو ئۇ ئۇ ئۆ ئۆ ئۈ ئۈ ئې ئې ى ى چ **وفيها:**

١- التعريف والتنكير بين (حق – الحق):

والجواب يعتمد على أحوال المقصودين، فإنهم في آيتي آل عمران والنساء في قوله: چ ٱ ب ب پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ چ المقصود بهم اليهود المعاصرين للنبي ρ، الذين عاينوا البراهين الدالة على أنه المذكور في التوراة، ومع ذلك أصروا على الكفر، وكانوا مع معرفتهم بصدق نبوته حريصين على قتله، بل وضعوا السم له ρ ؛ فهم أشد عداءً وكفرًا، فكان منتهى الذم أن يُخبر عن قتلهم للأنبياء بلفظ النكرة الدالة على معنى بغير سببٍ ولا شبهة، لا شرعًا ولا عرفًا، فأفاد العموم التوبيخ والتشنيع لفعلهم « وذلك أوغلُ في ذمهم وسوء حالهم ؛ لأنهم لا يمكنهم في مرتكبهم تعلق بشيء البتة ولا أدنى شبهة »(١٣٨)

---

(١٣٧) ينظر: كشف المعاني، ابن جماعة: ص ٨٢، ونظم الدرر: ٣/ ٦٧.

(١٣٨) ملاك التأويل: ١/ ٢١٥.

ومن الدلائل على قوة هذا التشنيع والذم في آل عمران بناء الآية على الجمع بين الذلة والمسكنة، أما في البقرة فقد عمّم: چ ڈ ڈ ڈ ڈ ژ چ ثم قال: چ ڳ ڳ ڳ ڳ چ فأعاد الفعل وحرف الجر ؛ زيادة في التوكيد فإن قولك أنهاك عن الكبر وأنهاك عن الرياء آكد من أنهاك عن الكبر والرياء، ثم إن الجمع بصيغة القلة (النبيين) في البقرة، ثم بصيغة الكثرة في آل عمران دال على قتلهم العدد الكثير من الأنبياء (١٣٩)

ومثلها آية النساء، فإن سياقها في شأن اليهود المعاصرين للنبي ρ فأفاد التنكير المبالغة في التشنيع، وقد سبقها جدلٌ حول صدق النبوة وصحتها: چ ۀ ہ ہ ہ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ڭ ڭ ڭ ۇ چ أما آية البقرة فإنها في قوم موسى υ: چ گ گ گ ی چ وهؤلاء لم يشاهدوا النبي ρ فناسبهم التعريف، والمعنى القتل المتقرر في شريعتهم ؛ لأن الألف واللام للعهد من مثل چ ئۇ ئۇ ئۆ ئۆ ئۈ ئۈ ئې ی چ[الأنعام] (١٤٠)« إذ ليس المعروف في قوة المنكر المرادف لقولكِ بغير سببٍ »(١٤١)

٢- التغاير بين جمع الكثرة والقلة بين (الأنبياء) و (النبيين):

حيث اختصت سورة آل عمران بجمع الكثرة، وكذا النساء (الأنبياء) بينما في البقرة بجمع الكثرة (النبيين) وقد سبق أنها بنيت على قوة التَّشنيع والذَّم ؛ لأنَّ المقصودين بها اليهود المعاصرين للنبيِّ ρ فذكر الجمع بصيغة الكثرة (الأنبياء) حتى يكون التَّشنيع أعظم وأشدَّ لكثرة ما يقتلون من الأنبياء، وهو المناسب لحالهم، أما في البقرة فلم يقصد التشنيع كما في آل عمران فذكر جمع القلَّة(١٤٢) على أن الكرماني وجَّه الاختلاف توجيها لفظيًا، هو التلاؤم في أبنية الألفاظ المتجاورة فآية البقرة اختصَّت

---

(١٣٩) ينظر: التعبير القرآني، فاضل السامرائي: ص١٨٨/١٨٩ .

(١٤٠) ينظر: فتح الرحمن، للأنصاري: ص ٣٠.

(١٤١) ملاك التأويل: ٢١٦/١.و ينظر: البرهان، الكرماني: ص٣٠ ؛ التفسير الكبير: ٩٦/٣.

(١٤٢) ينظر: التعبير القرآني، فاضل السامرائي: ص١٨٨/١٨٩.

بجمع السلامة ؛ موافقة للفظ (الصابئين) في: چ ٱ ب ب ٻ ٻ پ پ ڀ ڀ چ [١٤٣] وفيه ضعف لأنَّ الآية اشتملت على جمع التكسير والسالم (النصارى والصابئين).

المبحث العشرون

قوله تعالى: چ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ وفي سورة النحل چ ۋ ۉ ې ې ى ى ئا ئا ئە ئە ئو ئو ئۇ ئۇ ئۆ ئۆ ئۈ ئۈ ئې ئې ئى ئى ئى ئى چ **بذكر** (**كانوا**) **وحذفها** مع اتحاد المعنى بظلم الكافرين أنفسهم في الموضعين. وتعليله أنَّ آية آل عمران إنما نزلت في المعاصرين لرسول الله ρ الحاضرين عند نزول الآية الذين قال فيهم چ ٱ ب ب ٻ ٻ پ پ. ڀ چ فورد الإخبار مساوقًا لحالهم وقت نزول الآية ،
ولم يكن لدخول (كان) التي تقتضي وقوع الشيء فيما تقدم زمانهم ، يبين ذلك قوله تعالى چ ئو ئو ئۇ ئۇ ئۆ ئۆ چ ثم قال:(وما ظلمهم الله) فأحرزت (كان) هذا المعنى المقصود [١٤٤]

المبحث الحادي والعشرون

قوله تعالى: چ ڑ ڑ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ گ گ گ گ گ گ ڳ ڳ چ وفي الأنفال: چ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ڦ ڦ ڦ ڦ ڤ ڤ ڤ ڤ ڤ ڤ ٿ ٿ چ **وفيه:**

١- ذكر الجار والمجرور (لكم) وحذفه:

والجواب أن آية آل عمران تقدَّمها الإخبار عن عدوهم (ويأتوكم من فورهم) فاختلط ذكر المؤمنين والكافرين فجُرِّدت البشارة للمؤمنين ،

---

(١٤٣) ينظر: البرهان في توجيه متشابه القرآن: ص ٣٠-٣١.

(١٤٤) ينظر: ملاك التأويل: ١/ ٣١١.

وجيء بضمير خطابهم متصلًا بلام الاستحقاق (لكم)، أما آية الأنفال فلم يتقدمها إلا ذكر المؤمنين كما وردت في قوله: چ ہ ہ ہ ھ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ﮲ ﮳ چ فلم تذكر اكتفاء بما سبق(١٤٥)، يقول الإسكافي: «(لكم) مضمرة في سورة الأنفال كما هي مظهرة في هذه السورة ؛ لأن الأولى جاءت على الأصل، والثانية قد تقدمتها (لكم) فأغنت عن إعادتها بلفظها ومعناها، وهي قوله: چ ٻ ٻ ٻ ٻ پ چ فلمَّا قال (استجاب لكم) علم أنَّه جُعل بشرى لهم، فأغنت لكم الأولى بلفظها ومعناها عن الثانية »(١٤٦) ورأى ابن عاشور ذكرها زيادة في المنة كقوله چ ۀ ہ ہ ہ ہ چ لأنَّ سياقها الامتنان بنعمة النصر مع القلة والضعف، أمَّا آية الأنفال فمسوقة للعتاب لكراهية الخروج إلى بدر في أول الأمر فجُرِّدت من (لكم)؛ إذ كانت للنبي ومن لم يتردد من المؤمنين (١٤٧) في حين رآه أبو حيان لمناسبة الإيجاز والإطناب (١٤٨)

٢– تقديم القلوب على (به) وتأخيرها عنه:

أما التقديم في آية آل عمران فهو على الأصل، وأما تقديم (به) في الأنفال فلمراعاة للحالة النفسية للمخاطبين والهاء عائدة على المدد، وهو أهم عندهم، وقد وُفِّق الإسكافي في هذا التعليل ؛ إذ يقول:« فإن المعتمد بتحقيقه عند المخاطبين إنما هو الإمداد بالملائكة »(١٤٩) لأنها نزلت في غزوة بدر والدماء لم تجف بعد، فالخطاب فيها مؤسس، رُوعي فيها مقتضى الحال، وآية آل عمران تذكير بحكاية حال مضت ؛ إذ هي مدنية

(١٤٥) ينظر: ملاك التأويل: ١/ ٣١٤.

(١٤٦) درة التنزيل: ص ٣٨. وينظر: فتح الرحمن: ص٧٢.

(١٤٧) ينظر: التحرير والتنوير: ٩/ ٢٧٦.

(١٤٨) ينظر: البحر المحيط : ٤/٤٦٠.

(١٤٩) درة التنزيل: ص ٣٨.

متأخرة في النزول عن غزوة بدر وفرق بين ما يؤسس وما يحكى، لذلك جاء التعبير فيها على الأصل (١٥٠)

ثم إنه خصّ البشرى بهم في آل عمران وقدّم (قلوبهم) على الإمداد، فقال: (ولتطمئن قلوبكم به) للمواساة والطمأنة ؛ إذ المقام مقام مسح للقلوب ومواساة وطمأنة، قال تعالى: چ ه ھ ھ ے ے ۓ ۓ ڭ ڭ ڭ ڭ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ چ أما آية الأنفال فالمقام في ذكر موقعة بدر، وانتصارهم فيها ودور الإمداد السماوي في هذا النصر، لذلك قدَّم (به) على القلوب (١٥١)، ولمعنى الاختصاص أيضا، أي قلوبكم لا قلوب غيركم، وفيه تعريض بما اعتراهم من الوجل من الطائفة ذات الشوكة (١٥٢)ورأى الأنصاري أنه لمزاوجة (قلوبكم) مع (لكم)(١٥٣) كل هذه اللطائف أولى من توجيه أبي حيان الذي قصره على التَّفنُّن في الكلام(١٥٤) ؛ فإن هذا وحده غير كافٍ في تعليل أي اصطفاء قرآني سواءً كان لفظةً أو بناءً أو تركيبًا.

٣- تعريف الفاصلة وتنكيرها مع التوكيد (العزيز الحكيم) (إن الله عزيز حكيم):

والجواب عن هذا الاختلاف إنَّ آية الأنفال تقدَّمتها وعود جليلة چ ه ھ ہ ہ ھ ھ چ چ ڇ ڇ ڇ ڇ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ى ى ئا ئا چ فهذه وعود لم يتقدَّم إفصاح بمثلها في آية آل عمران، فناسبها تأكيد الوصفين العظيمين من أفعاله،وناسب آية آل عمران ورودهما تابعتين دون تأكيد.(١٥٥)

---

(١٥٠) خصائص التعبير القرآني، د. عبدالعظيم المطعني: ٢/١٦٩-١٧٠ (بتصرف).

(١٥١) ينظر: التعبير القرآني: ص٧١-٧٢.

(١٥٢) ينظر: التحرير والتنوير: ٩/٢٧٦ -٢٧٧ .

(١٥٣) ينظر: فتح الرحمن: ص ٧٢.

(١٥٤) ينظر: البحر المحيط: ٤/٤٦٠.

(١٥٥) ينظر: ملاك التأويل: ١/ ٣١٥.

المبحث الثاني والعشرون

قوله تعالى: ﭽ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭼ وفي الحديد: ﭽ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭼ اتفقت الآيتان في الحث على المبادرة إلى أفعال البر وجزيل الثواب(١٥٦)، ثم اختلف نظمهما (١٥٧) على النحو الآتي:

١- حذف كاف التشبيه وذكرها والجمع السماء والإفراد (كعرض السماء، عرضها السماوات):وفي هذا الاختلاف توجيهان:

الأول - الاكتفاء بما تمَّ التعبير عنه في آية الحديد حيثُ أفصحت بها في قوله تعالى: ﭽ ﭛ ﭜ ﭝ ﭼ والآخر - قصد المبالغة، يقول ابن الزبير:« حذف المضاف ممَّا يكون كثيرا عند قصد المبالغة، وكذا جعل الشيء نفس الشيء، وقوله تعالى:(عرضها السماوات والأرض) يمكن إلحاقه بهذا القبيل ، والجامع قصد المبالغة كأن السماوات والأرض إذا أوصل بعضها ببعض مصطفًا هو نفس عرض الجنة»(١٥٨) وبذلك يظهر أن القصد هو التعظيم والمبالغة، كما نلاحظ أنه جعل التشبيه البليغ مبالغة مبنيَّة على الحذف ؛ مما يدل على عدم عناية علماء المتشابه بالمصطلحات البلاغية. ولكن:لم اختصت آية آل عمران بهذه المبالغة ؟ والجواب ليناسب المتقين الذين أعدِّت لهم الجنة، الذين وفّوا بالإيمان وتوابعه، وفي آية الحديد (أعدِّت للذين آمنوا بالله ورسوله)(١٥٩) يقول النيسابوري:«ولأن هؤلاء أدون حالا من أولئك جُعل عرض الجنة هنا

---

(١٥٦) ينظر: ملاك التأويل: ١/ ٣١٦. وأكثر المفسرين على أن في الآية حذفًا تقديره: إلى ما يوجب المغفرة. ينظر: جامع البيان: ٤/ ١٢١؛ التفسير الكبير: ٩/ ٥ ؛ البحر المحيط: ٢/ ٦٢ ؛ التحرير والتنوير: ٢٧/٤٠٨.

(١٥٧) ينظر: ملاك التأويل: ١/ ٣١٦، التناسب في القرآن الكريم – صوره وأسراره البلاغية، منى النصر: ٤٢٥.

(١٥٨) ملاك التأويل: ١/ ٣١٧ -٣١٨.

(١٥٩) ينظر: ملاك التأويل: ١/ ٣٢٠.

أقل، فقال: ﭽ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﭼ فلم يجمع السماء، وأدخل حرف التشبيه الدَّال على أن المشبه أدون حالا من المشبه به »(١٦٠)

٢- التغاير بين (سابقوا – سارعوا) و (المتقين – الذين آمنوا بالله ورسوله):

وللسياق الكلمة الطولى في توجيه هذا التنوع ؛ ذلك أن آية آل عمران وردت في الحض على الجهاد، وذكر عظيم فضله(١٦١)، وبعد ذكر قصة بدر من قوله:ﭽ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﮔ ﭼوقوله:ﭽ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮﯓﭼ ثم ذكرت بعدها معركة أحد: ﭽ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﭼوما ترتب عليه من الحث على التجرد من جميع حظوظ النفس والمال، تأمل قوله: ﭽ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭼ فضلا عن أن البشارة والوعد بهذا الأجر إنما هو للمتقين حيث قال: ﭽ ﭗ ﭘ ﭼ والبشارة في آية الحديد أعمُّ ؛ حيث قال ﭽ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﭼ والمتقون أعلى مرتبة(١٦٢)،فدلت بمجموعها على المبالغة في الحثِّ على الطاعة وتعظيم أجر المطيع دون آية الحديد، ولذلك بُولغ في وصف سعتها حتى كانت أعظم في السعة من جنة الذين طولبوا بالتجرُّد من فضول الأموال فقط في سورة الحديد ؛حيث سبق الآية الأمر بالإنفاق والبذل في قوله:ﭽ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﭼ ثم التشنيع على المتخلفين عنه في قوله: ﭽ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ..ﯪ ﭼ ثم الترغيب فيه وتكرار الحثِّ في قوله:... ﭽ ... ﭼ وأن الأموال والأولاد من أسباب التعلق بالدنيا والالتهاء بها عن الآخرة وأنه إلى فناء ﭽ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﭼ ثم التنفير من البخل: ﭽ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﭼ ولاشك أن التجرد من حظوظ النفس أشقُّ من التجرُّد من فضول الأموال.

وبذلك نفهم سرَّ اختصاص آية آل عمران بالفعل (سارعوا) وآية الحديد بالفعل (سابقوا) يقول البقاعي: «سابقوا، أي افعلوا في السعي لها

---

(١٦٠) غرائب القرآن ورغائب الفرقان: ٦/ ٢٥٨.

(١٦١) ينظر: ملاك التأويل: ١/ ٣٢٠ ؛ نظم الدرر: ٧/ ٤٥٥.

(١٦٢) غرائب القرآن ورغائب الفرقان: ٦/ ٢٥٨ ؛ ملاك التأويل: ١/ ٣٢٠.

بالأعمال الصالحة حقَّ السعي، فعل من يسابق شخصا، فهو يسعى ويجتهد غاية الاجتهاد في سبقه، ولكن ربما كان قرينه بطيئا، فسار هوينًا، وأما المسارعة فلا تكون إلا بجهد النفس من الجانبين مع السرعة في العرف »[١٦٣] وهذا يدلُّ على أن سارعوا أقوى في الدلالة على شدة المنافسة، وهذا المناسب لحال المتَّقين، وليس مناسباً لحال الذين آمنوا ولم يرتقوا إلى قمة التقوى. وليس السرُّ أن المسارعة أسبق من المسابقة ؛ فأعطى(المسارعة) لما هو أسبق ترتيلا (آية آل عمران) وأعطى الآخر (المسابقة) لما هو تالٍ ترتيلاً (آية الحديد) كما ذهب ابن الزبير الذي رأى أن المسارعة إلى الشيء قبل المسابقة كما في ﭽ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭼ [المؤمنين] فقُدِّم (سارعوا) ؛ لبناء المسابقة على المسارعة، ولأنَّ المسارع قد يحصل له ما سارع إليه وقد لا يحصل ، أما السابق فلا يُقال سبق إلا لمن يحصل له مطلوبه ، وورد المتقدم في الترتيب أولًا، والمتأخر ثانيًا مراعاة للترتيب[١٦٤] وهو توجيه مرعي فيه ترتيب السور.

ولهذا الاختلاف توجيه معنوي معتمد على الاستعمال القرآني لمعنى السماء، وهو توجيه يحتمله السياق، وهذا من عجيب القرآن ؛ ذلك أنَّ القرآن يستعمل السماء مفردة إذا أراد واحدة السماوات، أو الجهة وكل ما علاك فتشمل السماوات وغيرها، وضرب لها أمثلة يضيق المقام عنها، واستدلَّ بذلك على أنَّ السماء بهذا المعنى أعمُّ وأشمل من السماوات ؛ لأنها تشمل كل ما علا السماوات، ولأنَّ آية آل عمران خاصة بالمتَّقين وهم أخصُّ من المؤمنين، جاء بالطبقة الواسعة (كعرض السماء) وجاء مع الطبقة الخاصَّة الذين هم أقل ممن قبلهم (المتَّقون) بلفظ السماوات التي هي أقل سعة من السماء فناسب بين السعة والعدد[١٦٥] ولذلك زاد في آية الحديد ﭽ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﭼ فلمَّا زاد تفضُّله على الخلق وسَّع دائرة الداخلين، وهم المؤمنون عامَّة، ولما ذكر الجنة بأوسع صفاتها، وكثرة الداخلين فيها، قال (سابقوا) وفي الآية الأخرى:

---

(١٦٣) نظم الدرر: ٧/ ٤٥٤. وينظر: غرائب القرآن ورغائب الفرقان: ص ٢٣٦ ؛ ملاك التأويل: ١/ ٣٢٠.

(١٦٤) ينظر: ملاك التأويل: ١/ ٣١٦.

(١٦٥) ينظر: التعبير القرآني، د. فاضل السامرائي:ص ٤٣-٤٤.

(سارعوا) ؛ لأن كثرة الخلق تستدعي المسابقة لا مجرد المسارعة. « فانظر كيف ذكر في آية الحديد (المسابقة) وهي تشمل المسارعة وزيادة، وذكر السماء وهي تشمل السماوات وزيادة، وذكر المؤمنين بالله ورسله وهم المتَّقون وزيادة، وزاد فيها ذكر الفضل على المغفرة والجنة، فجعل في كل موضع ما يناسبه من الألفاظ...»[١٦٦].

المبحث الثالث والعشرون

قوله تعالى: ﭽ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﭼ وفي سورة العنكبوت: ﭽ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﭼ وفيه:

الوصل والفصل في: (ونعم أجر العاملين – نعم أجر العاملين):

وذلك بأن آية آل عمران مبنية على تداخل الأخبار ؛ وأولها (أولئك) مبتدأ وجملة (جزاؤهم مغفرة) جملة أخرى، لكنها خبر عن المبتدأ، فنُسِقتِ الأخبار بعضها على بعض للتنبيه على النعم التي هديت لهؤلاء العاملين، وهي: ترك المؤاخذة بالذنب والتنعيم بالجنَّة، والخبر إذا جاء بعد خبر فحقُّه العطف على ما قبله بالواو ، وذلك تشريف وكرامة ، أما آية العنكبوت فإنها مبنية على أن يدرج الكلام فيه على جملة واحدة، وقوله (خالدين فيها) حال من التبوئة ، فلما جُعلت هذه الأشياء كلها في درج كلام واحد واحتُمِل أن يجيء بالواو ومن دونها اختير مجيؤها بغير واو لتشبه ما تقدَّم أو يكون خبر مبتدأ، أي: وذلك نعم أجر العاملين[١٦٧] ويرى ابن جماعة أنَّ العطف في آل عمران لوقوع مدلولها بعد الأوصاف المتعاطفة، نحو: (الذين ينفقون ، والكاظمين، والعافين والذين إذا فعلوا...) والواو مؤذنة بالتفخيم، وآية العنكبوت لم يقع قبلها إلا خبرٌ واحد[١٦٨]

---

(١٦٦) التعبير القرآني، د. فاضل السامرائي: ص ٤٤.

(١٦٧) ينظر: درة التنزيل: ص٣٩.

(١٦٨) ينظر: كشف المعاني: ص ٨٤ ؛ فتح الرحمن: ص ٧٣ .

المبحث الرابع والعشرون

چ ۋ ې ې ۑ ۑ د د ئا ئا ئه ئه ئو ئو ئۇ ئۇ ئۆ ئۆ ئۈ ئۈ ئې ئې ئې ئى ئى ئى ی چ وفي الجمعة: چ ٹ ٹ ٺ ٺ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ چ وفي البقرة: چ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ چ چ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ چ. وفيه:

١- الاضمار والإظهار في (فيهم – في الأميين) و (من أنفسهم – منهم)

ومقصود الآيتين الامتنان على العرب ببعثة النبي ρ منهم وليس من غيرهم ؟

والجواب: أن (أنفسهم) الواردة في آية آل عمران أوقع في القرب والخصوص ؛ لأن قولك: (فلان من أنفس القوم) فيها من قرب المنزلة والتشريف ما ليس في (منهم)؛ إذ المراد بها النوعية، وليس تقريب المنزلة والشرف، لذلك وردت حيث قُصِد التعريف بعظيم النعمة به على أمته چ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﯓ چ [التوبة] وقال فيمن صدَّ ولم يؤمن چ چ چ چ چ چ ڍ چ لأنه إنعام لم يوفقوا لمعرفة قدره. ولتقريب الفرق قارن بين قوله ρ:(سلمان منا آل البيت) وقوله: (فاطمة بضعة مني) فالثانية أخص من قوله منا، ولما كان لفظ الآيتين يتناول قريشًا وغيرها من العرب قيل: (منهم) فدلت بما فيها من الشيوع على عموم الأميين من العرب، ولما قال في آل عمران (لقد منّ الله على المؤمنين) فخصَّ من أسلم ناسب ذلك (من أنفسهم) لخصوصه[(١٦٩)].

(١٦٩) ينظر: ملاك التأويل: ١/ ٣٢٢-٣٢٣ ؛ البرهان في توجيه متشابه القرآن: ص ٤٩.

٢- التقديم والتأخير بين التزكية والتعليم:

وتوجيه هذا الاختلاف معتمد على أنَّ دعاء إبراهيم في آية البقرة كان قبل وجود الضلال في ذريته υ، فلذلك قدَّم التعليم ؛ لأنَّه السبب في حصول التزكية والسلامة من الضلال، أمَّا آيتي آل عمران والجمعة فلما كان مقصودهما «ذكر الامتنان عليهم بهدايتهم بعد الضلال، والتعريف بإجابة دعوة إبراهيم υ أخَّر ذكر تعليمهم الكتاب والحكمة المزيلين لضلالهم ؛ ليكون تلوه ذكر الضلال الذي أنقذهم منه بما علَّمهم وأعطاهم وامتن عليهم، وهو ثاني السببين، فكان الكلام في قوة لو قيل: ويعلمهم ما به زوال ضلالهم... ولو أخَّر التزكية لما أحرز هذا المعنى المقصود هنا»[١٧٠] وهناك وجهة أخرى في التعليل مرتبطة بالسياق، فسياق آية آل عمران في المعاتبة على الإقبال على الغنيمة[١٧١] وآية الجمعة لتنزيه وتأديب من وقع في موادة الكفار، لذلك قدَّم التزكية التي هي التخلية عن الرذائل والعقائد الزائغة [١٧٢] أما آية البقرة فظاهر دعوة إبراهيم υ في الأمة المسلمة، وقد كانوا إلى تعليم ما ذُكر أحوج منهم إلى التزكية ؛ لأنَّ أصلها موجود في الإسلام، يقول البقاعي: « ولما ذكر سبحانه في سورة الجمعة بعثه في الأميين عامة اقتضى المقام تقديم التزكية التي رأسها البراءة من الشرك الأكبر؛ ليقبلوا على ما جاءهم من العلم، وأما تقديمها في آل عمران مع ذكر البعث للمؤمنين فلاقتضاء الحال بالمعاتبة على الإقبال على الغنائم الذي كان سبب الهزيمة؛ لكونها إقبالا على الدنيا التي هي أم الأدناس »[١٧٣] ومن عجيب الموافقات أن جعل د. المطعني مقام الدعاء في آية البقرة أنسب بتقديم التعليم لحصول وسائل الهداية للأمة، فإذا حصلت زكت أنفسهم، وإن لم يصرح بالنقل عنه، وتقديم التزكية في الجمعة أنسب لمقام تمجيد الله، وللتناسب مع فاصلة الآية (وإن كانوا من

---

(١٧٠) ملاك التأويل: ١/ ٢٣٦-٢٣٧.

(١٧١) ينظر: نظم الدرر، البقاعي: ٢/ ١٧٨.

(١٧٢) ينظر: السابق: ٧/ ٥٩٣.

(١٧٣) ينظر: السابق: ١/ ٢١٥.

قبل لفي ضلالٍ مبين) فيظهر أثر التعليم إذا قرن بالضلال الذي كانوا عليه(١٧٤)

المبحث الخامس والعشرون

چ ڎ ڤ ڤ ڤ ڤڤ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄڄ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چچ چ چ

وفي الفتح چﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽﭾ ﭿ چ وفيه:

التغاير بين (أفواههم – ألسنتهم):

والجواب عن هذا الاختلاف معتمد على الفرق بين اللفظتين في الاستعمال القرآني على ما بيَّن الأصفهاني، وهو أنَّ «كلَّ موضع علَّق الله تعالى حكم القول بالفم، فإشارة إلى الكذب وتنبيه أن الاعتقاد لا يطابقه »(١٧٥) وقد تتَّبعتُ استعمال القرآن لـ (أفواه) مع فعل القول وما يشابهه فتبين أنه يستعملها في الغالب للتعبير عن كذب الاعتقاد، ومنها: چ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ چ [المائدة] چﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ چ[الكهف] چﭶ ﭷ ﭸ ﭹ چ چ[التوبة] چﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﯓ چ[التوبة] چﮃ ﮄ ﮅ ﮆﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ چ[الأحزاب]

أما الألسنة فيعبر بها عن كذب اللسان، وعدم مطابقة الواقع وحسب، وليس الاعتقاد، ومنه: چﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ چ[النحل] چﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ چ[الأحزاب] چﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ چ [الممتحنة] فلمَّا كان السياق في الإخبار عن المنافقين عبَّر بالأفواه؛ للدلالة على كذب اعتقادهم، أما في سياق الأعراب الذين قالوا ما خالف الواقع وليس الاعتقاد چ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ چ فعبر بـ (الألسنة).يقول البقاعي: « ولما صحَّ بعد ذلك إيمان لم يعبِّر بالأفواه دأبه في المنافقين، بل قال بألسنتهم...كأنه قيل: قد علم كذبهم »(١٧٦) ولعل هذا ما قصده ابن الزبير

---

(١٧٤) ينظر: خصائص التعبير القرآني: ٢/١٧٤-١٧٥.

(١٧٥) المفردات في غريب القرآن: ص ٣٩٠.

(١٧٦) نظم الدرر: ٧/ ١٩٦.

حين وجَّه الفرق بين الآيتين على أساس دلالة الأفواه على المبالغة وتمكُّن الاعتقاد، كقوله تعالى: چ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ چ[يس] للمبالغة في المنع عن الكلام ؛ لأنَّه إذا ختم على الأفواه لم تنطق الألسنة، ففي الأولى الإخبار عن المنافقين كعبدالله بن أُبيّ وأصحابه ممن استحكم نفاقهم، والذين قالوا لمن أكرمهم الله بالشهادة يوم أحد (لو أطاعونا ما قتلوا) وقولهم (لو نعلم قتالًا لاتبعناكم) فأخبر تعالى بما أكنّوه من الكفر:چ ڤ ڤ ڤ ڃ ڃ چ چ فناسب التعبير (بأفواههم) ما استحكم في قلوبهم من الكفر. أما آية الفتح فالإخبار عن الأعراب الذين قال الله تعالى عنهم چ گ گ گ گ ڳ ڳ ہ چ وهؤلاء لم يستقرّ نفاقهم؛ فعبَّر معهم بالألسنة إشعارًا بأن حالهم أقلُّ خطرًا من المنافقين في آل عمران. (١٧٧)

واعتمادًا على هذا الملمح بين اللفظتين يمكن توجيه هذا الاختلاف، وهو أن الأفواه أعمُّ من الألسنة ؛ لأنَّ اللسان جزء من الفم ؛ فإذا كان القول عظيمًا ذُكِرت الأفواه، وإذا كان أقلَّ ذُكرت الألسنة، ولهذا اختُصَّت آية آل عمران بالأفواه ؛ لما كان أعظم وأكبر من قول المتخلفين عن العمرة (شغلتنا أموالنا وأهلونا) ؛ لأنهم قالوا ما قالوا في أُحد حين دُعوا لقتال المشركين فامتنعوا، بل كانوا يخذِّلون غيرهم (لو أطاعونا ما قتلوا) ولم يظهروا ندماً أو طلباً للاستغفار كما فعل المتخلِّفون عن العمرة، فدَلَّ على أن مقولة أولئك أكبر وأخطر، فناسب ما هو أكبر الأفواه، وناسب آية الفتح الألسنة (١٧٨) وأرى أن الأول أدقُّ وألطف.

المبحث السادس والعشرون

قوله تعالى: چ ڈ ڈ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ چ وفي الحج چ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ چ **وفيه: الجمع والإفراد (أيديكم – يداك):**

وجوابه واضح بيّن بسبب اختلاف المقصودين، فقد نزلت آية آل عمران في قوم تقدم ذكرهم، وهم اليهود الذين قالوا إن الله فقير ونحن

---

(١٧٧) ينظر: ملاك التأويل: ١/ ٣٢٤-٣٢٥.

(١٧٨) ينظر: أسئلة بيانية، د. فاضل السامرائي: ١/ ٤٤-٤٦ .

أغنياء- تعالى الله عمّا يقولون - ﭽ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﭼ فناسبهم الجمع، بينما نزلت في النضر بن الحارث في سورة الحج، والواحد ليس له إلا يدان، فناسبها التثنية. (١٧٩)

المبحث السابع والعشرون

قوله تعالى: ﭽ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﭼ وتشابهها في فاطر آيتان، الأولى: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭼ والثانية: ﭽ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﭼ وفيه:

١- التغيير في بنية الكلمة بين الماضي والمضارع في (كذبوك – يكذبوك):

وسرُّ اختصاص الأولى بصيغة الماضي أنَّ سياقها في شأن تكذيب اليهود، فقد سبقها: ﭽ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﭼ وهؤلاء تكذيبهم مضى أو عُبِّر عنه بالماضي لشدَّة تحقُّقه ووقوعه، وقتلهم الرُّسل دليل عليه بدلالة الفعل الماضي مع فعل القتل، وقد جرى غالب الاستعمال القرآني على استخدام فعل القتل مضارعًا في حق الأنبياء مما يؤكد تحقُّق فعلهم، أما آية فاطر ففي شأن المشركين، وإنذارهم وتبليغهم الدعوة، قال تعالى: ﭽ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﭼ وتكذيب هؤلاء مستمر متجدِّد، لذلك ناسبه المضارع للتجدد والاستمرار. (١٨٠)

---

(١٧٩) ينظر: فتح الرحمن: ص٧٤.

(١٨٠) نظم الدرر: ٦/ ٢٠٣.

٢- تأنيث الفعل وتذكيره (كُذِّب - كُذِّبت)

وجمع التكسير يجوز فيه التذكير التأنيث، ومع ذلك اختصت الآية الأولى بالفعل مذكرًا، والثانية بـه مؤنثًا ! وتوجيهُ هذا الاختلاف متكيء على مناسبة لفظية ؛ فالأولى جرى التذكير فيها على ما هو الأصل فى جمع التكسير المذكر ؛ فلم تلحق الفعل علامة التأنيث، وأما آية فاطر فلحقت التاء الفعل رعاية لتأنيث ما عطف على الآية من قوله:چ پ پ پ پ ڀ ڀ چ يقول ابن الزبير: « فنوسب بين الآيتين فقيل: (كذَّبت) على الجائز الفصيح في تأنيث المجموع المكسر ليحصل التناسب ، ولا يمكن عكس الوارد في الآيتين » (١٨١)

٣- حذف الباء وذكرها:

فقد حذفت في آية آل عمران ؛ لأنها بُنيت على الاختصار والاكتفاء بالقليل بدليل وضع الماضي موضع المستقبل في قوله (فإن كذبوك) دون (فإن يكذبوك)، وحذف الفاعل في جواب الشرط ؛ لأنه مبنيٌ للمفعول، يقول الإسكافي: « فكان الاختيار أن يجعل آخر الكلام كأوله بالاكتفاء بما قلَّ عما كثر منه مع وضوح المعنى، والآية التي في سورة الملائكة صُدِّرت بما يخالف ذلك في الموضعين ؛ لأن الشرط جاء فيها على الأصل بلفظ المستقبل وهو (وإن يكذبوك) وجاء الجزاء أيضًا مبنيا للفاعل، ولم يحذف منه ما حذف من الأول » أما آية فاطر فسياقها البسط بدليل المضارع في الشرط، وإظهار الفاعل في جواب الشرط، وفي (رسلهم) فناسبها الذكر في الثلاثة، يقول: « فلما قُصد توفية اللفظ حقه أتبع آخر الكلام أوله في توفية كل معمول فيه عامله، وهي حروف الجر التي استوفتها المجرورات »(١٨٢)

وهذه مناسبة تراعي الإيجاز والبسط، والسياق المقالي دون الحالي ؛ فإن آية آل عمران في الحديث عن الأمم السابقة، والرسل وإن كانوا قد جاؤوهم بالكتب فإن المعجزات البينات كانت الأساس الذي بنوا عليه

---

(١٨١) ملاك التأويل: ١/ ٣٢٦.

(١٨٢) درة التنزيل: ص ٤٠. وينظر: كشف المعاني: ص ٨٦.

دعوتهم، يقول الحق قبلها چ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڇ ڇ ڇ ڇ ڇ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڍ ڍ ڌ ڌ ڌ ڌ ڌ ڌ ڎ ڎ ڎ ڎ ڈ ڈ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ڑ ڑ ک ک چ وهي في ذكر أحداثٍ تاريخية ومحاجة أهل الكتاب: چ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک چ فناسب عدم دخول الباء على الزبر والكتاب المنير، أما آية فاطر فالحديث فيه عن جانب منهج الدعوة: چ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ڱ ڱ ں ں ڻ ڻ ڻ ڻ ۀ ۀ ہ ہ چ فالهداية هنا بكتابٍ مسموع، ومنهج يتلى لا بمعجزات مرئية، والمقام فيها للإنذار چ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ى ى ئا ئا ئە ئە ئو ئو ئۇ ئۇ ئۆ ئۆ ئۈ ئۈ ئې ئې... چ چ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک چ فناسبه التأكيد بإعادة ذكر الباء ؛ لأنها كتب الإنذار والدعوة. كما أن في آية فاطر ما يدل على استمرار التكذيب وتجدده بدلالة المضارع (وإن يكذبوك) وهذا يقتضي التوكيد لهذا عقب بقوله: چ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ڱ ڱ ں ں چ مع ما في (رسلهم) من دلالة على كثرة المكذبين، فاقتضت الكثرة التوكيد، يقول: « فانظر إلى جمال هذا التعبير ودقته ؛ فإن كلا من مقامي التفصيل والتوكيد يقتضي تكرار الباء، فكيف بهما إذا اجتمعا ؟» (١٨٣)

ويضاف لتذكير (كُذِّب) مناسبة معنوية وهي التناسب بين الحذف ومعنى الشدة المقصودة مع هؤلاء المكذبين، ولـ« مبالغتهم في الغلظة والجفاء والكفر وعدم الوفاء، وكانت السورة سورة التوحيد...أسقط تاء التأنيث ؛ لأنَّها ربما دلت على نوع ضعف»(١٨٤)

المبحث الثامن والعشرون

چ □ ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ چ **وفيه: التقديم والتأخير:(ولئن قتلتم في سبيل الله أو متم – ولئن متم أو قتلتم)**

وذلك لأن المقصود بالقتل في الآية الأولى الجهاد، وهو أشرف الموت كما يقول البقاعي بدلالة (في سبيل الله) فناسب ذلك تقديم القتل؛

---

(١٨٣) التعبير القرآني، فاضل السامرائي: ص ١٥٩.

(١٨٤) نظم الدرر: ٢/ ١٩١.

لأن الجهاد مظنة القتل، وهو جزاء الشهيد المناسب لاختتامها بـ (لمغفرة من الله ورحمة خير مما يجمعون) ولما عمَّ في الثانية ولم يقل (في سبيل الله) قدم الموت ؛ لأنه الحالة الطبيعية في غير الجهاد، ولذلك ختمها بـ (إلى الله تحشرون) ؛ إذ كلٍّ منهما يحشر إلى الله ؛ فشتان ما بين الخاتمتين!(١٨٥)

المبحث التاسع والعشرون

چ ڈ ژ ژ ڑ ک ک ک گ گ گ چ وفي يونس: چ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ى ى ئا ئا ئە ئە ئو ئو ئۇ ئۇ ئۆ ئۆ ئۈ ئۈ ئې ئې چ وفي البقرة:چ ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ... چ چ چ چ چ وفيه:

١- التقديم والتأخير بين (خلق السموات والأرض) و(اختلاف الليل والنهار):

والجواب أن سياق آية آل عمران في ملكه تعالى للسماوات والأرض چ چ چ چ چ ڈ چ لذلك أتبعه بخلقها، أما في يونس فقد سبقها چ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې چ وإنما ذلك باختلافهما فناسب إتباعه بذكر اختلافهما (١٨٦)

ولنا أن نتساءل: ما سر الاكتفاء في آل عمران بثلاثة أنواع من الدلائل، هي الدلائل السماوية بينما ذكر ثمانية منها في البقرة: السماوية والأرضية، وسر اختتام آية البقرة بـ (يعقلون)، وآل عمران بـ (أولي الألباب)، والجواب معتمدٌ على ترتيب المصحف، وتقدم سورة البقرة على آل عمران، يقول الرازي: « السالك إلى الله لابد له في أول الأمر من تكثير الدلائل، فإذا استنار القلب بنور معرفة الله، يصير طالبًا لتقليلها، إذا عرفت هذه القاعدة فذكَرَ في سورة البقرة ثمانية أنواع من الدلائل، ثم أعاد في هذه السورة ثلاثة منها تنبيهًا على أن العارف بعد صيرورته

---

(١٨٥) ينظر: التعبير القرآني، فاضل السامرائي: ص ٦٢-٦٣ وقد انفرد السامرائي بهذا التوجيه دون علماء المتشابه.

(١٨٦) ينظر: كشف المعاني: ص٨٧.

عارفًا لابد له من تقليل الالتفات إلى الدلائل،ثم إنه استقصى في هذه الآية الدلائل السماوية ؛ لأنها أقهر وأبهر، والعجائب فيها أكثر !! »[١٨٧]

(١٨٧) التفسير الكبير: ٩/١٣٤-١٣٥ (بتصرف)

٢- التنويع في الفاصلة: (لقومٍ يعقلون – لأولي الألباب)

فقد ختمت الأولى بـــ (لقومٍ يعقلون) والثانية بـــ:(لأولي الألباب)؛ «لأن العقل له ظاهرٌ وله لبٌّ ؛ ففي أول الأمر يكون عقلا، وفي كمال الحال يكون لبًا »(١٨٨)

المبحث الثلاثون

چچچيدذذذڈڈ ژژڑڑکککچ وسورة الرعد چ □ □ □ □ □ □□ □ □ □ چ **وفيه:**

الإبدال بين (ثم) و (الواو) في العطف:

ومعلوم أن (ثم) حرف عطف يفيد الترتيب بمهلة(١٨٩)، والواو للتشريك في الحكم(١٩٠)، فما سر اختصاص كل موضع بما جاء فيه ؟

والجواب مرتبطٌ بالسياق ؛ فالأولى تقدمها النهي عن الاغترار بأحوال لكفار ونعيمهم في الدنيا:(متاع قليل)، وبعده ذكَرَ جزاءهم في الآخرة فناسب التعبير بـــ(ثم) الدالة على التراخي والفترة الممتدة بين الدنيا والآخرة، أما الثانية فناسبها العطف بالواو؛ لأن سوء الحساب وجهنم كلاهما في الآخرة (١٩١)، وللبقاعي توجيه لطيف منبثقٌ عن دلالة (ثم) على التراخي الرتبي(١٩٢)، وهو من المعاني المجازية التي كان للزمخشري الفضل في

---

(١٨٨) التفسير الكبير: ٩/١٣٤-١٣٥ (بتصرف)

(١٨٩) ينظر: الكتاب، سيبويه: ١/ ٤٢٩ ؛ الجنى الداني في حروف المعاني: ص ٤٢٦.

(١٩٠) ينظر: الكتاب، سيبويه: ١/٢١٨ ؛ الجنى الداني في حروف المعاني: ص ١٥٨.

(١٩١) ينظر: كشف المعاني: ص ٨٨.

(١٩٢) ألمح إلى هذا المعنى لـ(ثم) الراغب الأصفهاني، فقال: « (ثم) حرف عطف يقتضي تأخر ما بعده عما قبله، إما تأخيرا بالذات، أو بالمرتبة...» المفردات في غريب القرآن: ص ٨٧، وهو عند الزمخشري التفاوت بين المتعاطفين في المنزلة، يقول تعليقا على الآية چ ئۆ ئۆ ئۈ ئۈ ئې ئې ئى ئى چ [الأنعام]:= =« ومعنى ثم بُعد ما بين الأمرين: قضاء الأمر، وعدم الإنظار، وجعلُ عدم الإنظار أشد من قضاء الأمر ؛ لأن مفاجأة الشدة

بيان أسرارها في القرآن، يقول: «وعبَّر بأداة التراخي إشارة إلى أن تمتيعهم وإن طال زمانه وعلا شأنه تافه؛ لزواله ثم عاقبته، وإلى هول تلك العاقبة، وتناهي عظمتها، فقال: (ثم مأواهم) أي بعد التراخي (جهنم) الكريهة المنظر، الشديدة الأهوال»(١٩٣)

الخاتمة

وبعد هذا التطواف مع متشابه النظم في سورة آل عمران نصل إلى نتائج مهمة، هي:

١- دقة القرآن في اختيار ألفاظه وتراكيبه، ووضعها وضعًا فنيًا عجيبًا، وأن التشابه والاختلاف في تعبيراته إنما يقتضيه النظم ويتطلبه المقام، وأنه لم يترك وجهًا من وجوه الاقتضاء إلا راعاه ليس في سياق الآية وحدها، ولا السورة وحدها، بل في عموم القرآن.

٣- يمكن إجمال ضوابط توجيه المتشابه اللفظي في: **الضوابط اللفظية**، وهي التي يحكمها

التلاؤم الصوتي، والنغم الصوتي، كما في قول الإسكافي: « وحسن التأليف وقصد الحروف مراعى في الفصاحة، لا يخفى على أهل البلاغة »(١٩٤) **والضوابط المعنوية**، وهي التي يحكمها المعنى سواء المعنى العام، أو المعنى المراعى فيه سنن العرب في الصياغة، أو النحو، أو علوم القرآن كأسباب النزول، وترتيب المصحف، أو الاستعمال القرآني للألفاظ والأبنية أو الاعتبار التاريخي، أو حال المقصودين، أو الإيجاز والإطناب، أو الاكتفاء بما تم التعبير عنه في موضعٍ من القرآن، وإن كانت لم تأتِ بدرجة واحدة لدى الأئمة، كما أن اكتفاءً العلماء بالمناسبة

أشد من نفس الشدة » الكشاف: ٥/٢ ؛ البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري، د.أبو موسى: ٢٩١-٢٩٢ ؛ من أسرار حروف العطف في الذكر الحكيم – الفاء وثم، د. محمد الأمين الخضري: ص ١٨٢ وما بعدها.

(١٩٣) ينظر: نظم الدرر: ٢٠١/٢.

(١٩٤) درة التنزيل وغرة التأويل: ص ١٤٩.

الصوتية لايعني انتفاء المناسبة المعنوية، بل لا تُقارن كثرةً بالتوجيهات المعنوية في هذه السورة التي تجاوز ما تشابه من آيها الثلاثين آية، في حين وقفنا على موضعٍ واحد اكُتفي فيه بالتوجيه الصوتي وحده، هو تقديم عقر المرأة على الكبر في سورة مريم.

٤- أهمية السياق في توجيه متشابه النظم في القرآن، فلا تُتصور دراسة من غير تمثله بدقة،

ووعي وإحاطة سواء الجزئي سباقًا ولحاقًا، أو الكلي في السورة كاملة، أو في القرآن كله.

٥- دقة هذا الباب من أبواب البلاغة القرآنية ووعورة مسلكه، وذلك أنه ينتمي للبلاغة التطبيقية القرآنية أولا، ثم هو بعد ذلك في أدق مواطن الإعجاز (الآيات المتشابهة)، وأن توجيهها بلاغيًا كما يكشف عن وجهٍ جليل من وجوه الإعجاز يقدم للباحثين منهجا للتحليل البلاغي المتكامل البنيان،الذي يدرس النص وفق نظرة كلية شاملة لجميع مستوياته: الصوتية والدلالية والتركيبية منطلقًا من نظرية النظم التي هي توخي معاني النحو حسب الأغراض التي تؤم دون تمزيق لنظمه ورباطه.

التوصيات

العناية بجهد البلاغيين التطبيقيين - إن صحَّ التعبير - فيما يخص التشابه اللفظي في القرآن،سواءً الذين خصوه بدراسة مستقلة أو من كانت لهم عناية به دون تأليف مستقل، وهم المفسرون كالرازي، والبقاعي وغيرهم ؛ لقيمة ملاحظاتهم ونظراتهم الجديدة في التحليل البلاغي. هذا ومازال موضوع الدراسة أرضا خصبة للدراسات البلاغية، لا تنتهي لطائفه.

فهرس المصادر والمراجع

[١] إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم المعروف بتفسير أبي السعود، محمد العمادي،دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١١هـ - ١٩٩٠م.

[٢] أسئلة بيانية في القرآن الكريم، د. فاضل السامرائي، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٣٢هـ -٢٠١١م.
[٣] الإيضاح في علوم البلاغة، الخطيب القزويني، المكتبة الأزهرية، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.
[٤] بديع القرآن لابن أبي الإصبع المصري، تحقيق / د. حنفي محمد شرف، طبع بدار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.
[٥] البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان المسمى أسرار التكرار في القرآن، محمود الكرماني، تحقيق / عبدالقادر أحمد عطا، دار الفضيلة، القاهرة.
[٦] بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، لمجد الدين الفيروز أبادي، دار الباز، مكة المكرمة، المكتبة العصرية، بيروت، (ط، ت: د)
[٧] بلاغة الكلمة في التعبير القرآني، السامرائي، دار عمار، الأردن، ١٤٣٤هـ.
[٨] البلاغة القرآنية في الآيات المتشابهات من خلال كتاب ملاك التأويل لابن الزبير الغرناطي، إبراهيم الزيد، دار كنوز إشبيلية، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٣٠هـ.
[٩] البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري، د. أبو موسى، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٤٠٨هـ.
[١٠] البيان القرآني في الآي المتشابه – نماذج مختارة من كتاب ملاك التأويل، دار ابن كثير، بيروت، لبنان، ١٤٣٧هـ -٢٠١٦م.
[١١] تحرير التحبير لابن أبي الإصبع المصري، ت:حنفي شرف، القاهرة، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، ١٣٨٣هـ.
[١٢] التحرير والتنوير، الشيخ الطاهر بن عاشور، الدار التونسية، تونس (ط، ت، د).
[١٣] التعبير القرآني،د. فاضل السامرائي، دار عمار، الأردن، الطبعة الخامسة،١٤٢٨هـ

[١٤] تفسير البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، تحقيق / عادل عبد الموجود، محمد عوض وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ ١٩٩٣م.
[١٥] التفسير الكبير، الفخر الرازي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (ط، ت، د).
[١٦] جامع البيان في تفسير القرآن، ابن جرير الطبري، دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٣هـ.
[١٧] الجنى الداني في حروف المعاني، الحسن بن قاسم المرادي، ت/ فخر الدين قباوة، دار الأفاق الجديدة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م.
[١٨] درة التنزيل وغرة التأويل في بيان الآيات المتشابهات في كتاب الله العزيز، الخطيب الإسكافي، دار الآفاق الجديدة، بيروت، الطبعة الثانية،١٤٣٣هـ - ١٩٧٧م.
[١٩] دراسة المتشابه اللفظي من آي التنزيل في كتاب ملاك التأويل مع دراسة نقدية في تحقيقي الكتاب، دار ابن كثير، بيروت، لبنان، ١٤٣٧هـ -٢٠١٦م.
[٢٠] دلائل الإعجاز، عبدالقاهر الجرجاني، تحقيق: محمود شاكر، مطبعة المدني، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٤١٣هـ -١٩٩٢م.
[٢١] روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، الآلوسي، إدارة الطباعة المنيرية، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٦م.
[٢٢] شرح الشافية، الرضي الاستراباذي، ت: محمد نور الحسن وزميليه، دار الكتب العلمية، بيروت، طبعة ١٣٩٥هـ.
[٢٣] ضوابط التوجيه اللفظي لمتشابه النظم القرآني، د. محمود حسن مخلوف، مجلة كلية اللغة العربية بأسيوط، العدد ٢٥، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.
[٢٤] ضوابط التوجيه المعنوي لمتشابه النظم القرآني، د. محمود مخلوف، بحث منشور، مجلة كلية اللغة العربية بأسيوط، العدد ٢٦، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧ م.

[٢٥] فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن، للإمام أبي يحي زكريا الأنصاري، تحقيق / محمد علي الصابوني، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.

[٢٦] في ظلال القرآن، سيد قطب، دار الشروق، الطبعة ٢١، ١٤١٤هـ ١٩٩٣م.
[٢٧] الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، محمود عمر الزمخشري، دار المعرفة، بيروت، الطبعة (من دون) ١٣٨٧هـ - ١٩٦٨م.
[٢٨] كشف المعاني في المتشابه المثاني، بدر الدين ابن جماعة، ت: ناصر القطامي، مجموعة آيات للإعلام القرآني، الرياض، الطبعة الأولى،١٤٣٢هـ-٢٠١١م.
[٢٩] المتشابه اللفظي في القرآن وأسراره البلاغية (دراسة تحليلية لتراث المتشابه اللفظي) د. صالح الشثري، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف، الطبعة الأولى،١٤٢٥هـ - ٢٠٠٥م
[٣٠] المتشابه اللفظي في القرآن الكريم (رؤية في التفسير من خلال اللغة والسياق)، محمد محمود القاضي ، دار الصحوة، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٣٠هـ -٢٠٠٩م.
[٣١] متشابه النظم القرآني بين الإسكافي والغرناطي، د. محمود حسن مخلوف، جامعة الأزهر، أسيوط، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م.
[٣٢] معاني الأبنية في العربية، السامرائي، دار عمار، الطبعة الثانية، ١٤٢٨هـ -٢٠٠٧م.
[٣٣] المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد الأصفهاني، تحقيق / محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ -١٩٩٨م.

[٣٤] ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل، الغرناطي، ت:سعيد الفلاح،دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ.
[٣٥] من أسرار حروف العطف في الذكر الحكيم – الفاء وثم، د. محمد الأمين الخضري، مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.
[٣٦] من أسرار المغايرة في نسق الفاصلة القرآنية، محمد أمين الخضري، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٩٩٤م.
[٣٧] من بلاغة المتشابه اللفظي في القرآن الكريم، أ. د. محمد بن علي الصامل، دار إشبيليا، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م.
[٣٨] نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، برهان الدين إبراهيم بن عمر البقاعي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ-١٩٩٥م.
[٣٩] النبأ العظيم – نظرات جديدة في القرآن، د. محمد عبدالله دراز، دارا القلم، الكويت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
[٤٠]الرسائل العلمية
[٤١] بلاغة المتشابه اللفظي في تفسير البحر المحيط لأبي حيان، مريم القرشي، رسالة عالمية
[٤٢](دكتوراه) تخصص البلاغة والنقد، كلية التربية، جامعة أم القرى،١٤٣٢-١٤٣٣هـ.
[٤٣] التناسب في القرآن الكريم – صوره وأسراره البلاغية ، منى فهد النصر، رسالة عالمية (دكتوراه)، جامعة الدمام، في البلاغة والنقد، ١٤٢٣ه- ٢٠٠٣م.
[٤٤] التنويع الأسلوبي في صور التكرار، د. عبدالمنعم علي حسين، رسالة عالمية (دكتوراه)، في البلاغة والنقد الأدبي، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة،١٤٢١هـ -٢٠٠٠م.

[٤٥] الجمل المتشابهة من خلال القرآن الكريم (دراسة بيانية)، حليمة تواتي، رسالة تخصص (ماجستير)، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الجزائر، ٢٠٠٤م.
[٤٦] المتشابه اللفظي في القرآن بين القدامى والمحدثين: الغرناطي والسامرائي دراسة مقارنة، د. محمد الجبالي،رسالة عالمية في القرآن والحديث، جامعة ملايا، ماليزيا،٢٠١٢م.

The Eloquence of Verbal Consonance of Surat Al-Imran

Mona Ahmad Fahad Al -Nasser
Faculty of Arts, Department of Arabic Language
University of Dammam

Abstract. This current paper delves into one of the greatest aspects of The Qur'an's rhetorical i'jaz :the stylistic diversity in recurrent verses ،It refers to Qu'ranic verses whose wording is approximately identical except for slight changes like number and order of words ،replacement of letters. These changes affect, in a great sura like Al-Imran substantially meaningful differences amongst the recurring similar verses and utterances; as it accommodates almost 30 of them. Linguistically set criteria have been adopted to have these consonances arbitrated and justified attesting to the truth that " ،rhetorics is but a sheer correspondence between speech and situation." Due to its essential role in manipulating the diversity and employing certain structures and specific formulas, The study takes context as its starting point .As such it holds high expectations of unraveling some of The Qur'an's magnificent